مسيح الكون كله

نيافة الأنبا بيمن

مسيح الكون كله

تأليف
نيافة الأنبا بيمن

البابا شنودة الثالث

الأنبا بيمن

أسقف ملوى وتخومها

مقـدمة

أنه بسبب انتشار الاتجاهات التحررية فى العالم الغربى ، سواء فى الدراسة اللاهوتية ، أو فى السلوك البشرى ، فقد انتشرت المذاهب الكثيرة المتضاربة ، وكثرت الآراء المتباينة فى تفسير الكتاب المقدس ، والنظرة إلى العبادة ووظائف الكنيسة ...

الأمر الذى دعا قيادات الفكر اللاهوتى أن يتجهوا إلى العصور الأولى للمسيحية ليجدوا فيها الأسس اللاهوتية والروحية السليمة التى تبنى عليها جميع الدراسات الكتابية واللاهوتية والروحية والسلوكية ، كما تصلح أن تكون المصدر السليم للوحدة المسيحية .

ولما كانت الليتورجيات هى إحدى هذه المصادر الأساسية لدراسة المسيحية الأولى ، فقد ظهر علم اللاهوت الليتورجى Liturgical Theology وكثرت الدراسات والأبحاث العلمية والروحية المتعلقة بهذا المجال ، وبدأت الكنائس الشرقية ، وهى التى حافظت على هذا التراث الثمين فى عبادتها وكتاباتها أن تقدم ما عندها لكى لا تنعزل عن تيار متدفق فى الفكر المسيحى ،

واهتم مجلس الكنائس العالمى بإقامة مؤتمرات بعضها للكنائس الشرقية فقط ، وبعضها يجمع الشرقيين والغربيين لدراسة كل ما يتعلق بالليتورجيات ومكانتها وأصالتها وروحانيتها ، ومدى فائدتها للمؤمن المعاصر .. وقد حضرنا بنعمة الله مؤتمراً فى الصيف الماضى فى رومانيا استمر أسبوعاً يدرس ويبحث كيفية تقديم التقليد الكنسى بما فيه من ليتورجيات للمسيحى العصرى ، وكيف تسهم التربية المسيحية فى تدعيم ارتباط المؤمن وتفهمه للتقليد والليتورجيات . وكيف يمكن أن تمارس الليتورجيات بطريقة يفهمها الشباب المعاصر ، ويستطيع أن يفيد منها فى حياته الروحية والعملية .

وقد جاء مؤتمر الليتورجيا الذى رتبته ايبارشيات محافظة المنيا الثلاث فى أوائل ديسمبر سنة ١٩٧٦ مواكباً لنفس الاتجاهات ، وبحث موضوعات فى غاية الأهمية نذكر منها :

+ الليتورجيا وحياة الشركة .
+ الليتورجيا والكتاب المقدس .
+ الليتورجيا والنظرة المسكونية والكونية المعاصرة .

وسنحاول تقديم هذه الموضوعات للشباب غير متقيدين بما جاء فى المحاضرات فقط بل ومحاولين اعدادها للنشر مستفدين من المراجع والمؤتمرات المسكونية .

والله ابونا الذى أعطانا عزاء أبدياً ورجاء صالحاً بالنعمة ، قادر أن يعزينا جميعاً بالفيض الذى يسكبه علينا من خلال الكنيسة وخدماتها بصلوات العذراء القديسة مريم وجميع مصاف القديسين ، وصلوات أبينا كلى الاحترام صاحب

القداسة البابا شنودة الثالث

ولربنا المجد والكرامة إلى الأبد آمين .

يمن

بنعمة الله

أسقف ملوى وأنصنا والأشمونين

برمون الغطاس

١٠ طوبة ١٦٩٣

١٨ يناير ١٩٧٧

الفصل الأول

الليتورچيا من منظار مسكونى عصرى

معنى كلِمة ليتورجيَا وأهمّيتها

فى المصطلح اللغوى تعنى كلمة ليتورجيا الخدمة العامة التى تؤدى لأجل الجماعة والشعب وهى مشتقة من مقطعين :

Liow = People

Ergia = Work

وقد استخدمت هذه الكلمة لتعنى العبادة والخدمات الكنسية ، التى تمارس فى حضور المؤمنين معاً . **فالأسرار كلها يمكن اطلاق اسم الليتورجية عليها** ، مثل ليتورجية العماد ، أو ليتورجية الزواج . أو ليتورجية مسحة المرضى .. كما يمكن أن تطلق على خدمات أخرى مثل ليتورجية التماجيد للقديسين وليتورجية التسبيح .. الخ .

ولكن القداس الإلهى يبرز بين هذه الخدمات كلها ليقترن باسم الليتورجيا ، حتى أصبح من الشائع أن كلمة ليتورجية تعنى القداس أو خدمة الأفخارستيا ...

ويعبر أحد اللاهوتيين المعاصرين عن **أهمية الليتورجيا** : بقوله « أنها أعظم أسرار إيماننا ، أنها ينبوع حياتنا الروحية كمسيحيين ، فهى سر موتنا وقيامتنا وعبورنا مع المسيح .. وهى أيضاً سر العبادة ، وهى حجر الزاوية فى خدمة الكنيسة وعبادتها ، وهى التى تجعل المؤمنين عابدين بالروح والحق ساعين ومتجهين فى مسيرة خلاصهم نحو الآب السماوى ، فهى إذن سر الكنيسة ، وهى لفصاح شهادتها نحو العالم ، كوظيفة أساسية من وظائفها منذ العصر الرسولى .. بل إننا نستطيع أن نقول أنها سر حياة الكنيسة وشركتها مع المسيح » .

الليتورجيا حفظت لنا اللاهوت والعقيدة السليمة :

تعتبر الليتورجيا إحدى مصادر التقليد الكنسى الهامة للتعرف على الحق ، وتفهم اللاهوت الحى وتقبله وتمثل فاعليته فى الحياة الروحية . وفيها أيضاً العقيدة السليمة التى لا يشوبها أى فكر بشرى أو تعديل انسانى .. **فهى تراث حى باق عبر كل العصور والأجيال يرتشف منه العباد بالهامات وطاقات روحية لخلاصهم ، كما يستمد منها الباحثون والعلماء أنقى المصادر للفكر المسيحى السليم .**

ففى الليتورجيات نجد على سبيل المثال ــ **عقيدة الثالوث القدوس** واضحة للغاية ، فالبركة الرسولية تمنح فى القداس من خلال محبة الآب ونعمة الابن الوحيد ، وشركة وموهبة وعطية الروح القدس .

وفى رفع بخور باكر وعشية يعطى التمجيد للآب ضابط الكل والابن الوحيد الجنس يسوع المسيح ربنا والروح القدس المعزى ثم الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس ..

وفى دورة الحمل تمجيد واكرام للثالوث القدوس وفى رشومات الحمل تبريك وتمجيد للأقانيم الثلاث ، والشماس يؤكد على هذا الإيمان بقوله « واحد هو الآب القدوس ، واحد هو الابن القدوس ، واحد هو الروح القدوس آمين » .

وفى تحليل الخدام يعطى الحل من فم الثالوث القدوس ثم من فم الكنيسة الواحدة وأفواه الرسل والآباء القديسين .

ولا تكاد تخلو صلاة سرية أو علنية للكاهن إلا ويعطى فيها المجد والكرامة والعز والسجود للآب والابن والروح القدس المحيى المساوى الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور كلها آمين .

وبنفس الاتجاه نجد ليتورجية العماد تؤكد وتلقن المعتمد أو الأشبين (أومن بالله واحد) الله الآب ضابط الكل ، وابنه

الوحيد يسوع المسيح ربنا ، والروح القدس المحيى ، وقيامة الجسد والكنيسة الواحدة الوحيد المقدسة الجامعة الرسولية آمين .

وفى ختام كل صلاة وأوشية يعطى الخادم المجد والإكرام للثالوث القدوس ..

وهكذا نجد الإيمان السليم والعقائد الصحيحة مذخرة فى الليتورجيات ، والذى يشترك فى القداسات وكافة الليتورجيات ، والصلوات الكنسية يدرك مدى وضوح العقائد المسيحية الأرثوذكسية السليمة فى ثنايا جميع الخدمات الكنسية .

الليتورجيا حفظت لنا روح العبادة :

عندما كانت الكنيسة فى عصور أزدهار العبادة واشتعال الحرارة الروحية ، **كانت الليتورجيات مصدر الهام وعزاء واشراقات روحية لكل مؤمن ومؤمنة** ــ وكانت الليتورجيات تلف المناخ الكنسى وحياة المؤمنين بموجة من الروحانية العميقة حتى أن الطابع لكل الكنيسة يتسم بالخشوع والسجود والإنسكاب ورفع القلب والصلاة الدائمة والوقوف ساعات طوال فى حضرة الرب .

وعندما كانت الكنيسة تمر فى عصور الضعف . **كانت الليتورجيات حصنا منيعاً متيناً يحمى التراث من الضياع أو الانحراف أو تسلل البدع** . وكان الأقباط يذهبون إلى كنائسهم يصلون القداسات ويمارسون خدمات الأسرار ويخرجون فاهمين إيمانهم من خلال الطقس متمسكين بعقائدهم مستعدين للموت حفاظاً على هذا الكنز الثمين والتراث المجيد المستودع ليس فى كتب الكنيسة فحسب وانما منقوشاً على قلوبهم فى وقت لم يكن فيه وعاظ ملهمون أو خدام مضيئون أو كليات لاهوت وأساتذة للعلوم الدينية واللاهوتية .. فرغماً عن كل هذه الأوضاع كانت الليتورجيا الدرع الواقى للكنيسة يحميها من اندثار العبادة أو تسلل التعاليم الغريبة .

والواقع **أن العبادة ليست مجرد وظيفة من وظائف الكنيسة ، انما الكنيسة لا تفهم إلا من خلال العبادة** ، فهى جوهر الكنيسة وفحواها ، هى استعلانها وملء كيانها ، هذا الكيان الذى يعبر عنه بالحياة الجديدة فى المسيح يسوع .

لهذا تحرص الكنيسة أن يعيش أولادها بروح العبادة والقداسة كاستعداد لملاقاة العريس السماوى عندما يأتى على السحاب ليختطف الكنيسة ويدخلها إلى مجد أبيه الصالح .. فالعمل الرئيسى والأساسى لوجود الكنيسة والمعبر عن صميم طبيعتها هو

الوحدة والقداسة والحب والشهادة للحق والشركة مع الثالوث القدوس .

لقد ظلت الليتورجيات ـ كأنفاس الله والقديسين فى الكنيسة ـ تصنع البشر خليقة جديدة ساعية إلى الملء لينالوا نعمة فوق نعمة ، وليؤهلوا لكى يكونوا أمة مقدسة وشعباً مبرراً وكهنوتاً ملوكياً ليخبروا بفضائل من دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب (١بط ٢:٩) .

ولقد حرصت الليتورجيات على أن **تصبح الكنيسة فى مجال النعمة والحق ، وليس فى مجال الفرائض والطقوس والشكليات .**

إن الليتوجيات هى التى منعت روح التهود بين المؤمنين ، وظلت عبر العصور تنادى القريبين والبعيدين أن الحياة المسيحية ليست مجرد حياة للمسيح ويبقى المسيح بعيداً عنك ، وانما المسيحية هى الحياة فى المسيح متجهة نحو الآب بعمل وفاعلية الروح القدس .. هذا الاختبار الثالوثى الباطنى هو موضوع تأكيد الليتورجيات فى صلواتها وطقوسها وكافة خدماتها ..

لقد أعطى هذا الحرص الشديد **بصيرة أن تحيا مركزة عملها على الحياة الداخلية والعمل السرى الذى يشع تلقائياً بسبب**

فاعليته الدينامية الإلهية كرازة وخدمة وشهادة تلقائية .

ان الليتورجيات هى التى **حمت الكنيسة من انفصال الكرازة والتعليم والعبادة** ـــ لأن القراءات الكنسية والعظات والخدمات التعليمية لا تكون فى الكنيسة الأرثوذكسية إلا من خلال العبادة وممارسة الليتورجيات .

ولقد فطن لهذا المعلمون الروحيون واستوعبوا الفكر الآبائى بسهولة ويسر من خلال الليتورجيات والقراءات الكنسية على مدار السنة والأسبوع ، واليوم ..

أما المعلمون الكنسيون الحقيقيون فلم يكونوا أحراراً يقولون ما يريدون من آراء ومبادىء وأفكار ، بل التزموا بروح الكنيسة ومنهج الآباء ، **وكان المنبر المرتبط بالمذبح عاملاً أساسياً فى حماية الكنيسة من أى انحراف عقيدى أو لاهوتى ، وبالتالى فى تدعيم الحياة الروحية الأصيلة فى قلوب المؤمنين .**

فالعبادة مسيحياً هى اختبار التعرف على الله والمعرفة الروحية لا تكون إلا بالاختبار والعبادة ..

فمن خلال سر المعمودية **تستنير الحواس الداخلية** بالتعرف على الحق وتصبح النفس مستعدة وقادرة على النطق بالحق

والشهادة له ان أخلصت السير على الدرب الروحانى الآبائى .

ومن خلال سر التثبيت **تصبح لنا المسحة من القدوس** وهذه تعلمنا كل شىء وتعرفنا الحق ذاته ..

ومن خلال سر الافخارستيا سر الشركة مع الله **يسلم الرب يسوع كنيسته سر معرفة الآب** .. نعم نعرف الآب الذى بذل ابنه الوحيد فدية وخلاصاً وغفراناً لخطايانا من خلال المعرفة البنوية التى تصير لنا بشركتنا فى الجسد والدم الأقدسين بواسطة عمل وفاعلية الروح القدس العامل فى الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية .

وكلما نأكل من الخبز الواحد ونشرب من الكأس الواحدة تستنير عيون قلوبنا بسر مشيئته حسب مسرته التى قصدها فى نفسه لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شىء فى المسيح ما فى السموات وما على الأرض ، وتستنير بمعرفة رجاء الدعوة وغنى مجد ميراثه فى القديسين وعظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته الذى عمله فى المسيح إذ أقامه من الأموات واجلسه عن يمينه فى السماويات ليسود فوق كل سلطان وسيادة ، ويصبح رأساً للكنيسة التى هى جسده ملء الذى يملأ الكل فى الكل ..

الليتورجيا والأتجاه المسكونى

منذ نشأة الكنيسة يوم الخمسين **والرب يتجاوز الحواجز القومية والتعصبات القبلية واللونية والجنسية** ، ففى يوم العنصرة حل الروح القدس على التلاميذ وتكلم فرتيون وماديون وعلاميون ويهود وكبادوكيون وأناس من بنتس وآسيا وفريجية وبمفيلية مصر وليبية وعرب بألسنة تنطق بعظائم الله .

وقد أوضح بولس الرسول أن كرازته ليست قاصرة على أهل الختان ، ولكن الله إئتمنه على إنجيل الغرلة ، وعبر عن هذا بقوله « **حيث ليس يونانى ويهودى ختان وغرلة بربرى سيكثى عبد حر بل المسيح الكل وفى الكل** » (كو ٣:١١) .

وهو الذى أوضح أيضاً إتجاه الشمولية فى منهج الكرازة حسب خطة الله الأزلية بقوله « أن الأمم شركاء فى الميراث والجسد ونوال موعده فى المسيح بالأنجيل الذى صرت أنا خادماً له حسب موهبة نعمة الله المعطاة لى حسب فعل قوته » (أفسس ٣:٦) .

وهذا هو السر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع يسوع المسيح ، وقد عرف عند الرؤساء والسلاطين فى السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة . « فقد جعل الأثنين (اليهود والأمم) واحداً . ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة مبطلاً بجسده ناموس الوصايا فى فرائض لكى يخلق الاثنين فى نفسه انساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً ويصالح الأثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به فجاء وبشركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين لأن به لنا كلينا قدوماً فى روح واحد إلى الآب ، فلستم إذاً بعد غرباء ونزلا بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله » (أف ٢ : ١٤ــ١٩) .

والكنيسة تحيا هذه الروح المسكونية فى ليتورجياتها ، فهى تصلى من أجل الجميع ، من أجل الكل ، لا تعرف قومية ولا نعرة تعصبية طائفية ، بل صلواتها من أجل الجميع : أسمعها فى **أوشية السلامة** تقول :

« اذكر يارب سلامة كنيستك الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية ، هذه الكائنة من أقصاء المسكونة إلى أقصاها . **كل الشعوب وكل القطعان** باركهم . السلامة التى فى السموات إنزلها على قلوبنا جميعاً ، بل وسلامة هذا العمر أنعم بها علينا انعاماً .. الرئيس ، القضاة ، الجند ، المشيرون ، الجموع ،

جيراننا ، مداخلنا ومخارجنا زينهم بكل سلام .. ياملك السلام أعطنا سلامك لأن كل شيء أعطيتنا اقتنا لك يا الله مخلصنا لأننا لا نعرف آخر سواك . إسمك القدوس هو الذى نقوله فلتحيا نفوسنا بروحك القدوس ، ولا تدع موت الخطية يقوى علينا نحن عبيدك ولا على كل شعبك » .

والكنيسة ترى نفسها مسئولة أن تصلى من **من أجل المرضى فى العالم مهما كانت جنسيتهم أو قوميتهم** .. انها تتضرع لأجلهم لكى الرب الإله يعطيهم معونة وشفاء وعزاء وخلاصاً .

اسمعها تقول فى أوشية المرضى « والذين أبطأوا مطروحين فى الأمراض أقمهم وعزهم ، والمعذبين من الأرواح النجسة **اعتقهم جميعاً** . الذين فى السجون أو المطابق أو النفى أو السبى أو المقبوض عليهم فى عبودية مرة **يارب اعتقهم جميعاً** .. لأنك **أنت تحل المربوطين وتقيم الساقطين،رجاء من ليس له رجاء معين من ليس معين** ، عزاء صغيرى النفوس ميناء الذين فى العاصف . **كل الأنفس المتضايقة** والمقبوض عليها . اعطها يارب رحمة ، أعطها نياحاً ، أعطها برودة ، أعطها نعمة ، أعطها معونة وخلاصاً ، أعطها غفران خطاياها وآثامها .

وهكذا عندما تصلى **من أجل المسافرين تطلب من أجل الذين يضمرون السفر فى كل مكان** أن يسهل الرب طرقهم أجمعين ان كان فى البحر أو الأنهار أو البحيرات أو الطرق المسلوكة أو السالكين بكل نوع ، كل أحد بكل موضع ، لكى الرب الإله يردهم إلى ميناء هادئة ميناء الخلاص ..

ونتوسل إلى الرب أن « يصحبهم فى الاقلاع وفى المسير ، ويردهم إلى منازلهم بالفرح فرحين وبالعافية معافين » .

مسئولية الكنيسة إزاء غير المؤمنين :

وإذا كانت الكنيسة تصلى فى شموليتها لكافة البشر سواء فى مرضهم أو سفرهم أو فى مهنهم وعملهم ووظائفهم ، فهى **ترى نفسها مسئولة عن غير المؤمنين فى كل العالم** .. تصلى وتشفع عنهم وتطلب لأجلهم ، وأن كان بعض منهم حكاماً أو رؤساء فتدعو لهم بالحياة الهنيئة والسلام والعدل والطمأنينة . اسمعها تقول فى أوشية الرئيس والحكام :

« نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر **اذكر يارب أرضنا** » فيقول الشماس « اطلبوا لكى يعطينا المسيح إلهنا رحمة ورأفة أمام الرؤساء الأعزاء ويعطف قلوبهم علينا بالصلاح فى كل حين ويغفر لنا خطايانا » .. ويكمل الكاهن طلبته فيقول

« **أحفظه فى سلام وعدل وقوة** ، وتخضع له كل الأمم الذين يريدون الحرب .. **تكلم فى قلبه من أجل سلام** كنيستك الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية . أعطه أن يفكر بالسلام فينا وفى اسمك القدوس ، لكى نعيش نحن أيضاً فى سيرة هادئة ونوجد ساكنين بكل تقوى وعفاف » .

ليس عند الكنيسة فى ليتورجياتها إذن أدنى تعصب أو مقاومة الشر بالشر ، بل هى تدعو ملك السلام أن ينعم سلامه على جميع الحكام وكل الجيران وكل الجموع وسلامة العمر ينعم بها على الجميع انعاماً ..

الليتورجيا والاتجاه الكونى

تؤمن الكنيسة أيضاً أن هناك **علاقة صميمية بين الإنسان والمادة والكون الذى نعيش فيه** . فمنذ خلق الله الإنسان على صورته أعطاه سلطاناً أن يملأ الأرض ويخضعها ويتسلط على طيورها وأسماكها وحيواناتها .. والإنسان كيانياً مرتبط بالمادة . فقد جبله الرب من الأرض ونفخ فيه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية ..« وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء ، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها . وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو إسمها»(تك ٢ : ١٩ــ٢٠). أى أن الإنسان **أخذ سلطاناً إلهياً على الخليقة المادية وصار سيدها ورئيسها وكاهنها أمام الله** . ولما سقط آدم فى العصيان لعنت الأرض بسببه وجاءت اللعنة هكذا : « بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل . بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود » (تك ٣ : ١٧ــ١٩) .

ولكن الله عندما أراد أن يخلص الإنسان لم يخلصه بعيداً عن الكون والأرض التى أخذ منها ، انما أخذ جسداً وحل بيننا على

الأرض ، وقدس الطبيعة البشرية باتحاده بها ، وأعطى امكانية تقديس المادة أيضاً إذ تعامل معها .. فقد أكل وشرب وتنسم الهواء ونام واشتغل نجاراً وركب البحر وعلق على خشبة ودفن فى الأرض ، ثم قام بقوة لاهوته **ليعيد العلاقة السليمة التى كانت بين الإنسان والمادة .. هذه العلاقة التى كانت لتوطيد** حياة الشركة بين الإنسان والله فى الجنة ، ولكنها فسدت بالمعصية وجاء الرب يسوع ليصحح وضعها ويعيدها إلى أصالتها .

ومن هنا **رسم الرب سر الافخارستيا ليكون قمة هذا التصحيح** . فالأرض والماء والهواء والحيوان والإنسان يشتركون معاً فى تقديم الخبز والخمر على المذبح ليكونا جسد الرب ودمه الأقدسين وكأن الأرض التى لعنت تقول لخالقها : **ليس فى استطاعتى تقديم الشكر** لتنازلك وحضورك فى مذود بيت لحم ، وتعاملك مع المادة والكون **سوى أن أقدم لك نتاجى ليكون قرباناً يتقدس بالروح القدس على المذبح وترفع اللعنة عن الكون** كما رفع سلطان الخطيئة عن المؤمنين . وهكذا أعيد للإنسان المؤمن مسئوليته إزاء الكون . **فهو مسئول من خلال الكنيسة أن يصلى عن جميع ما فى الخليقة المادية** ونحن نلحظ هذا فى **تسبحة الفتية الثلاث** والتى احتفظت الكنيسة بها وترددها كل يوم فى تسبحتها اليومية ففى **ابصالية الفتية الثلاث**

تنشد الكنيسة قائلة :

« والآن يا قوات الرب باركوا اسمه الكريم ، أيتها الشمس والقمر والنجوم سبحوه وزيدوه علوا .

وأيضاً الأمطار والأنداء امدحى مخلصنا لأنه هو اله آبائنا اعط مجداً أيتها السحب معاً والأهوية والنفوس والأرواح والبرد والنار والحرارة ..

وأيضاً أيتها الليالى والأيام .. النور والظلمة والبروق قائلة المجد لك يا محب البشر ..

أيتها الأشجار وجميع ما ينبت فى الأرض وكل ما يتحرك فى المياه والجبال والغياض سبحوه وزيدوه علوا » .

وفى الهوس الرابع تردد الكنيسة المزمور ١٤٨ :

سبحوا الرب يا جميع ملائكته .. أيتها الشمس والقمر .. أيتها التنانين وجميع الأعماق . النار والبرد والثلج والجليد والريح العاصف ، الجبال العالية وجميع الآكام . الأشجار المثمرة وكل الأرز .. الوحوش وكل البهائم .. الهوام وكل الطيور ذات الأجنحة فليسبحوا جميعاً اسم الرب الليليويا لأنه قد تعالى اسمه وحده ..

وكما فى ليتورجية التسبيح ترى الكنيسة نفسها مسئولة عن أن

تنوب عن الخليقة المادية فى تقديم التسبيح والشكر لله .

هكذا أيضاً فى ليتورجية الأفخارستيا ترى الكنيسة نفسها مسئولة عن أن تصلى من أجل الخليقة المادية .

فهى تصلى من **أجل المياه** لكى المسيح إلهنا يباركها ويصعدها كمقدارها ويفرح وجه الأرض ويعولنا نحن بنى البشر ويعطى نجاه للبهائم ، وتصلى من **أجل الزروع والعشب ونبات الحقل** فى هذه السنة لكى المسيح إلهنا يباركها لتنمو وتكثر بثمرة عظيمة ويتحنن على جبلته التى صنعتها يداه ويغفر لنا خطايانا ..

وتصلى من أجل **الأهوية والثمار وكل شجرة مثمرة** فى كل المسكونة لكى المسيح إلهنا يباركها ويكملها سالمة بغير ألم ويغفر لنا خطايانا ، وتصلى من **أجل الأرض** لكى الرب الإله يكثر أثمارها ويعدها للزرع والحصاد ويدبر حياتنا كما يليق .. « بارك اكليل السنة بصلاحك من أجل فقراء شعبك ، من أجل الأرملة واليتيم والغريب الضيف ومن أجلنا كلنا نحن الذين نرجوك ونطلب اسمك القدوس لأن أعين الكل تترجاك لأنك أنت تعطيهم طعامهم فى حين حسن » . وتصلى فى صلاة الموضع من أجل « **كل مدينة وكل كورة والقرى وكل زنيتها . ونجنا كلنا من الغلاء والوباء والزلازل والغرق والحريق وسبى البربر ومن سيف الغريب ومن قيام الهراطقة** » .

وهكذا من استعراض هذه الصلوات نرى كيف أن الكنيسة تشعر بمسئوليتها إزاء الكون بكل أبعاده ، **وتشعر أن يد الله تعمل فى الأمور المادية مثل الزرع والحصاد كما تعمل فى الأمور الروحية كالخلاص وحماية الكنيسة من الهراطقة .**

وإذ تصلى من أجل النمو الروحى ، تصلى أيضاً من أجل حماية العالم من الغلاء والوباء والزلزال والحريق والغرق ..

إن الكنيسة تصلى من أجل أن الله ينمى الإيجابيات فى الحياة المدنية ويحمينا من السلبيات واخطار الحياة على الأرض .

هذا الاتجاه يتناغم مع مقاصد الله ، فالرب يسوع عندما وضع الصلاة الربانية قسم الصلاة إلى قسمين : قسم منه تمجيد لاسمه وطلبة لملكوته وتتميم مشيئته ، وقسم آخر فيه الحديث عن الخبز والعلاقة الحسنة بين الإنسان وأخيه ..

وهذا ما يجعلنا نقول أن الله لا يريدنا أن نخلص من العالم بل أن نخلص بالعالم .. فهو الذى صلى ألا يأخذنا الآب من العالم بل أن يبقينا فيه ويحفظنا من الشرير .

وكلما أتسع قلب المؤمن ليصلى من أجل الجميع ، وكلما

استنارت بصيرته وأحس بمسئوليته إزاء العالم ، إزاء المؤمنين وغير المؤمنين ، إزاء المحبين وغير المحبين ، إزاء رسالة الخلاص ، ومسئوليته إزاء الكون .. كلما شعر المؤمن بهذا كله ، كلما تجلت الليتورجيا بمجدها ، وأصبحت زخماً دسماً ، وعطراً له رائحته ، وجمالاً له بهاؤه وروعته .

والأرض وكل ما عليها من خلال ليتورجية القداس ، ومن خلال ليتورجيات التسبيح ، تعد وتهيأ لتكون أرضاً جديدة ليست كالأرض الأولى ، ولكنها ستكون « مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً . والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم .. وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم والموت لا يكون فيما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فى ما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت » حسب وعد الله الصادق « هأنا أصنع كل شيء جديداً » (رؤ ٢١ : ٣ــ٥) .

فكما أنه ليس هناك تناقض بين السر والكلمة فى اللاهوت الأرثوذكسى ، هكذا أيضاً ليس هناك تناقض بين الروح والمادة . بل أن الله الذى تجسد وجمع فى شخصه مادة عالمنا الأرضى ووحدها مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير .. هو أيضاً يعطى من خلال الليتورجيات تقديساً للروحيات والماديات والكونيات معاً لكى يكون إنسان الله كاملاً فى كل شيء ..

الليتورجيا والنظرة العصريّة

يظن البعض أن الكنيسة ، من خلال الليتورجيات التى تمارس طقوسها فى دورات السنة والأسبوع واليوم ، ليست متجددة ، وإنما محافظة وجامدة لا تطوير فيها ولا تجديد .

والحقيقة أن الكنيسة الأرثوذكسية وإن كانت محافظة وتقليدية وآبائية ، **إلا أنها ليست جامدة بل على العكس إنها من خلال نظم عبادتها وقراءاتها السنوية والأسبوعية واليومية تعطى للإنسان حلولاً لكافة مشكلاته ومعاناته وقضاياه اليومية .**

ولنحاول فى هذا المقال أن نذكر بعض هذه القضايا ونبين كيف أن الليتورجيات الكنسية تقدم حلولاً جذرية لها .

قضية لقمة العيش

إن العالم المادى والطعام خلقا ليكونا وسائط لحياة الشركة مع الله . فانهما إذا أخذا من يد الله فانهما يصبحان وسائط حياة حقيقية ، ولكن **الطعام المادى فى حد ذاته ليس فيه حياة** ولا يمكنه أن يعطى حياة .. الله وحده هو الحياة الحقيقية .

سر الحياة ليس فى لقمة العيش ، وإنما فى العمل الإلهى الذى يكمن وراءها .. فى اليد المباركة التى تقدم لنا طعامنا وقوتنا ، ولكن إذا انفصلت لقمة العيش عن مصدرها الأصيل صارت سبباً فى الحروب والمنازعات والأنقسامات على مستوى الأفراد والدول والتكتلات العالمية ، كما يصبح الأكل أيضاً مجالاً لإثارة الشهوة والنجاسة والحروب الجسدية ، وكذا التعب والغم والهم وحزن القلب ، والأمراض الجسمية والنفسية والأجتماعية .. وعندما جاء الرب يسوع إلى عالمنا أراد أن يعيد العلاقة السليمة بين الإنسان والمادة كما سبق الإيضاح فى الحديث عن مسئولية المسيحى إزاء الكون ..

أراد الرب يسوع أن يغلب فى المعركة التى انهزم فيها آدم الأول ليبينا سر النصرة والغلبة على الأعتماد على الذراع البشرى ، فصام وانتصر فى التجربة وأعلن أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله .

والمسيحى فى ليتورجية الصوم يتجرد من الحياة حسب الجسد ليحيا حسب الروح ، ومن ثم يصبح الله كل غذائه وشبعه وحياته .. ان ليتورجية الصوم تعطينا الفرصة للتأكد من رفضنا الاعتماد على المادة والطعام ليبقى الطعام مجرد وسيلة لنيل البركة والنعمة الإلهية .. **ونتحدى الأكذوبة والكذاب الذى**

خدعنا فى أن نعتمد على الطعام فى حياتنا ، ونبنى على قاعدة لقمة العيش معارفنا وعلومنا ووجودنا كله ... الصوم هو فضح لهذه الأكذوبة وكشف للوهم والغش والخداع .. انه المعركة الحقيقية ضد الشيطان لأنه تحد لقانونه ومنهجه الذى به يترأس على العالم .

فكما أن يسوع لم يرض أن يأكل فى التجربة على الجبل من يد الشيطان ، هكذا نحن أيضاً عندما نجوع فى الصوم نكتشف أننا مستقرون مكتفون بكلمة الله ومتعزين بالكنيسة وليتورجياتها .. بهذا وحده نهزم سلطان لقمة العيش ..

وكما أن الرب يسوع بارك الخمس خبزات والسمكتين ليعلمنا أنه هو مصدر البركة والحياة ، هكذا المؤمنون يصلون على الطعام ويشكرون الرب على المائدة ويتناولون طعامهم بتسك وشكر ..

وكما أن الرب يسوع فى ليلة آلامه أخذ خبزاً على يديه الطاهرتين اللتين بلا عيب ولا دنس ، ونظر إلى السما نحو الآب وشكر وبارك وقدس ، ثم أعطى تلاميذه خبزاً قد تحول إلى جسده المقدس ، وعصير كرمة قد تحول إلى دمه الكريم فاننا من خلال ليتورجية الأفخارستيا وذبيحتها يتقدس الصوم وننال قوة ونصرة

وشبعاً وضماناً لعدم العودة إلى الخبز كمصدر وعماد للحياة ، **أى أننا من خلال ليتورجية الأفخارستيا التى تكمل وتقدس ليتورجية الصوم نضمن عدم الردة إلى حياة آدم الأول بعد سقوطه وعصيانه** ، وفقاً لما يقوله الكتاب « الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة ، والله سيبيد هذا وتلك .. لكن الطعام لا يقدمنا إلى الله ، لأننا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لاننقص » (١كو ٦:١٣ ، ٨:٨)

فمن خلال هذه الليتورجيات نفضح الأكذوبة القائلة أن الإنسان يأكل ليحيا ، ونؤكد حقيقة أن الله وحده هو الخبز الحقيقى والحياة الحقيقية ، وكل من يأكله يحيا إلى الأبد . إنه من علامات هذه النصرة على قضية لقمة العيش بما فيها من هموم وأحزان . **اننا نأكل بروح الكفاف والبساطة وبهجة القلب** ، كما كانت كنيسة الرسل تأكل فى القديم إذ يقول معلمنا لوقا « كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب ... وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ، ولم يكن أحد يقول أن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركاً .. إذ لم يكن فيهم أحد محتاجاً لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ، ويأتون بأثمان المبيعات ، ويضعونها عند أرجل الرسل فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج » (أع ٢:٤٦ ، ٤:٣٢ــ٣٥)

ان مشكلة لقمة العيش تجد لها حلاً عند المؤمن فى :

١ــ تعزيته بكلمة الله والصلاة والفرح بالخلاص .
٢ــ تعزيته بالتناول من الجسد والدم الأقدسين اللذين هما حياة أبدية .
٣ــ اشتراكه فى ليتورجية الأصوام وانتصاره على شهوات الجسد .
٤ــ تناول الطعام بروح الكفاف والبساطة وبهجة القلب وبروح الشكر والعطاء والرحمة للفقير والمسكين واليتيم والغريب .

وهذا ما يردده القداس الإلهى « اصنع معنا حسب صلاحك يامعطياً طعاماً لكل جسد . املأ قلوبنا فرحاً ونعيماً إذ يكون لنا الكفاف فى كل شىء كل حين نزداد فى كل عمل صالح » .

قضية العزلة والفراغ الداخلى

العزلة ناتجة عن البعد عن الله ، فلم يشعر بها الإنسان إلا بعد أن حرم من حياة الشركة مع الله .. وكلما تغرب الإنسان عن الله إزدادت نفسه قلقا ووحشة وفراغاً ، والقديس أوغسطينوس يقول « نفوسنا أخذت منك يالله ولن تجد راحة إلا فيك » ،

والإنسان يفقد هدوءه وسلامه من خلال الصراعات اليومية ، ويحيا فى انانية نفسه وقوقعة ذاته .. **وغالباً ما يسعى الإنسان إلى الهروب من مأساة نفسه عن طريق الملاهى ووسائل الترفيه** أو بالتهافت على المال والعلم والوظيفة ، أو بالتهافت النهم على اللذة الجنسية وأحساسيس الجسد ، وما هذه إلا محاولة فاشلة فى الصميم لدرء هذا الجزع وابعاد شبح الموت وطلب الخلود **إن السأم والملل لا يعالج بالمال والجنس ، ولكن الحل الحاسم لقضية العزلة هو الفرح والسلام والشركة .**

السلام الذى يناله المؤمن من التبرير ، والسلام الذى يفوق كل عقل ، هذا الذى يمنحه رئيس السلام لكل من يؤمن به ويحيا فى طاعته .

ومهما كانت علية قلوبنا مغلقة بهموم الحياة وضغوط المطالب فان يسوع يستطيع أن يدخل العلية كما فعل مع تلاميذه معطياً إياهم سلامه .

لا أمل لحل قضية العزلة إلا فى الحب وحده . هذا الحب الذى ينسكب بالروح القدس وينحدر من رأس الكنيسة إلى الأعضاء كما ينحدر الطيب من لحية هرون إلى جيب قميصه .. ان اجتماع المؤمنين معاً بروح واحدة يحقق حياة الشركة .. ومن

خلال الشركة مع الله ، والشركة مع السمائيين والشركة مع المؤمنين ، تنمحى مشكلة العزلة ، لأن النفس تشبع بالحب فى الجو الأخوى الذى يسود المناخ الكنسى .. **إن جميع الليتورجيات الكنسية تعمق إتجاهات الفرح والشكر والسلام فى قلوب المؤمنين** « قلوبنا أمتلأت فرحاً وألسنتنا تهليلاً . عظم الرب الصنيع معنا فصرنا فرحين » وحيث يوجد الفرح السماوى تتبخر أدخنة العزلة والهموم والفراغ الداخلى ، وتنقشع سحب الحزن والمرارة ، ويحل المسيح بالإيمان فى القلب ، وتنسكب المحبة الفائقة المعرفة فى طولها وعرضها وعمقها وعلوها .

هكذا عاش آباؤنا القديسون الشهداء والمعترفون والنساك والصديقون الذين أرضوا الرب بأعمالهم الصالحة وكانت صلواتهم فى الكنيسة مصدر تعزية وفرح وسلام إذ رفعتهم النعمة فوق أجنحة النسور ليصيروا فوق ضيقات الزمان وأوجاع المكان وضعفات الكيان .

قضية الألم والمرض .

كلما أوغل الإنسان فى سبيل التقدم والرقى الحضارى كلما كثرت معاناته وآلامه بسبب ترقى حساسيته ونضج وعيه ورقة شعوره ، وهكذا تقل لدى الرجل البدائى درجة الإحساس بالألم

وتضعف لديه القدرة على تمييز المواقف الأليمة ، بينما تعمل المدينة — لدى الرجل المتحضر — على زيادة احساسه بالألم ، وتقوية قدرته على ادراك المواقف المؤلمة ، فانه لمن الواضح أن تعقد أسباب الحياة لابد من أن يفضى إلى تنوع آلام الإنسان ، **فالمدينة تزيد من عمق آلامه لأنها فى نفس الوقت تفتح أمامه مجالاً واسعاً من الإنجازات الحضارية الراقية** ومعنى هذا أننا نشترى حضارتنا بأفدح الأثمان كما يقول بعض الفلاسفة .

فما الذى تقدمه الليتورجيات لمشكلة الإنسان العصرى — وهى تزايد آلامه وأمراضه — انها تخصص صلوات كثيرة لأجل هذه القضية . فلدينا أوشية المرضى التى تعطى للنفس عزاء وبرودة وسلاماً وغفراناً ، ولدينا ليتورجية مسحة المرضى التى تمتلىء بالصلوات للشفاء النفسانى والجسدانى ..

أسمع الكنيسة وهى تصلى قائلة : « ياطبيب المرضى وغافر الخطايا ، المنقذ من الشدائد كل الآتين إليك ، يامينداء الخلاص من حركات الأمواج وهياجها . اصنع رحمة مع المتضايقين بالأمراض ، ونجهم من الموت الردىء . ارسل عليهم من العلو غيث رحمتك ، وأغسل أدناسهم وأنضح من زيت وخمر شفائك على جراحاتهم » .

وتمتلىء هذه الليتورجيات بالطلبات وقراءات من الأناجيل عن معجزات الشفاء التى صنعها الرب يسوع فى حياته على الأرض . والملاحظ فى هذه الصلوات .

١ــ **أنها تطلب شفاء للنفس** والجسد معاً .

٢ ــ **إنها تطلب الغفران من الخطيئة** بإعتبارها مصدر كل شفاء .

٣ــ **أنها تشجع وتشدد وتقوى** المريض والمتألم لكى يتآزر بقوة الروح القدس وتوجه نظرة نحو المخلص الذى تطلب منه شفاء سريعاً وصحة لسائر جسده وجميع أعضائه .

« ارحه من كل سقم وحل كل آلامه وأزل ضيقاته وأحزانه ، ياملجأ التائبين ورجاء من لا رجاء لهم ، ياراحة التعابى ، نرسل لك إلى فوق المجد والإكرام إلى الأبد آمين » .

٤ــ انها تطلب من أجل الألم أن يرفع ، وإن لم يسمح بهذه **فهى تصلى كى الرب يهبه قدرة على الاحتمال** . وهكذا يتحول الألم إلى هبة فينطق الفم بالتسبيح والشكر ويتحقق القول الكتابى « لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً » (٢كو ١:٥) .

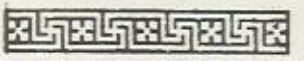

الفصل الثانى

حيـــاة الشـــركة

أولاً : مضمون حياة الشركة

+ نوعية فريدة :

لا يقصد بحياة الشركة ــ مسيحياً ــ مجرد تجمع أفراد ليكونوا جماعة من الجماعات ، فليست الكنيسة حزباً أو تجمعاً أو تكتلاً بشرياً وهى ليست مثل جميع المنظمات والهيئات والمؤسسات العالمية إذ لا يمكن تشبيهها بأية واحدة من هذه لأنها تختلف جذرياً عن كافة ما نراه فى العالم من منظمات :

+ فهى تختلف عنهم فى أن خالق هذه الشركة هو **الثالوث القدوس** فالآب هو الذى اختار كل واحد من أبناء الجماعة الكنسية ، ودعاه للتبنى فى يسوع المسيح منذ سابق الدهور ... والابن هو الذى فداه بدمه على الصليب ، وأعطاه مع كافة المؤمنين به كل إستحقاقات الخلاص والفداء والتبنى والميراث ... أما الروح القدس فهو الذى قدس جمَّع وألَّف بين المتفرقين لتكون كنيسة الله بلا عيب ولا دنس وغضن .

فليس فى العالم هيئة مثل هذه ، وليست هناك شركة مع الآب والابن بالروح القدس مثل شركة المؤمنين فى كنيسة الله ...

+ وهى تختلف أيضاً عن كل المنظمات والهيئات البشرية فى أن قوامها هو **النعمة والحق** ... فبدون النعمة تصبح شركة المؤمنين لا قيمة لها ، وبدون الحق تصبح لا معنى لها ...

النعمة هى التى تهب المؤمنين إمكانيات فوق الطبيعة ، هى التى تلدهم ولادة ثانية ، هى التى تثبتهم فى الحق ، وهى تعطيهم طبيعة روحية وشهية روحية ، وهى التى ترفعهم فوق آلام العالم الحاضر ، وتوجه أنظارهم نحو الإكليل الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل ، وهى التى تمنحهم روح الحب الذى لا يظن السوء ويحتمل كل شىء ويتأنى ويترفق ، ويصبر ولا يسقط أبداً ...

والحق هو الذى يحميهم من متاهات العالم الشريرة وطرقه الملتوية ، ورسائله غير الروحية ، وهو الذى يحرر كل مؤمن من ذاته وشهواته وتحزباته ، ويعطيه الحرية الحقيقية التى تجعله غير مستعبد لشىء ، وغير خائف من شىء .

الحق هو المحور الذى تدور حوله كل خدماتها وشهواتها ، وهو الذى تشهد له حق اليوم الذى يجىء فيه لينهى رسالتها فى العالم الحاضر ، **ومع أن نوعية الشركة هنا نوعية إلهية إلا إنها متلامحة ، فعالة فى البشر فليست الشركة إلهية فقط ولكنها إلهية بشرية** ، فالله الذى جمعها ووحدها لا يعمل إلاَّ فى القلوب البشرية « ها أنا معكم إلى إنقضاء الدهر » والكتاب يقول

« كيف يسمعون بلا كارز » ؛ أى أن وجود المؤمنين المحبين للحق هو المجال الوحيد الذى يعمل فيه الثالوث القدوس لتحقيق حياة الشركة ...

فالثالوث هو مصدر كل إرسال لكل عطية صالحة ، والكنيسة هى مجال كل تقبل لعطاياه كى تكرز بها وتشهد له بها إلى يوم مجيئه ، أهدافها روحية وليست مصالح أرضية .

+ **وهذه الشركة لا تهدف إلى مصالح قومية أو بشرية أو طائفية فهى ليست ديناً ودولة لأن يسوع عندما أرادوا أن يجعلوه ملكاً مضى من وسطهم وانصرف** . والمجد الذى أعطاه الابن لخاصته لم يكن مجداً أرضياً ، ولكنه مجد روحى لكى يصيروا واحداً كما أن الآب فى الابن ، وهذه الوحدة كانت موضوع صلاته الشفاعية الأخيرة ... أما على الأرض فقد بين لهم أن من يتبعه سيحمل صليبه ، ويحتمل المشقات ، ويكون مبغضاً من الجميع لأجل اسمه « فى العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » وطلب من الذى يتبعه أن يبغض الروابط الأرضية والتعلقات العاطفية الأسرية « من أحب أباً أو أماً أو أخاً أو أختاً أو زوجة أو أموالاً أو حقولاً أكثر منى فإنه لا يستحقنى » .

وكنيسة الرسل كانت تطبيقاً حقيقياً لمبادىء الإنجيل ، فجاءت حياة الشركة التى عاشها آباؤنا الرسوليون خالية من أية مطامع أرضية أو مصالح بشرية ، بل على العكس إن كل من كانت له حقول باعها ووضعت الأموال عند اقدام الرسل ووزع الرسل أموال المقتنيات لكل من له إحتياج ، ولم يكن أحد فيهم محتاجاً ، لأن الكنيسة سدت أعواز الجميع بروح الألفة والحب والشركة التى سادت الجماعة كلها .

وأما ما نسمعه الآن فى العالم العربى من أحزاب أو هيئات سياسية تحمل إسم المسيح (الحزب الديمقراطى المسيحى) فإن هذا مجرد اسماء ، وليس له أدنى علاقة بحياة الشركة المسيحية الحقيقية التى نقصدها .

حقيقة إن الكنيسة لا تلغى المال والطعام من أعمالها ،ولكنه ليس هدفاً ، كما أنه ليس سنداً ؛ وإنما هو وسيلة فقط من أجل إحتياجات اليتيم والغريب والضيف ، ومن أجل حاجات المكرسين وأخوة يسوع الذين تعولهم الكنيسة ، وإن إستندت الكنيسة إلى قوة المادة فهى تتغرب عن مخلصها الذى رفض المجد الأرضى والذراع البشرى ، وأمرنا ألا نكنز كنوزاً أرضية حيث يفسده الصدأ والسوس .

+ **شركة من كل أمة وعشيرة :**

وشركة المؤمنين وكنيسة المسيح لا تعرف نوعاً من الحواجز أو التعصبات الأرضية ، فهى تتعامل مع جميع بنى البشر من خلال الخلاص والصليب ؛ وليس من خلال اللون والوظيفة والطبقة واللغة والجنس ... الكنيسة فوق هذه الحواجز والعصبات ؛ ففى سفر الرؤيا نسمع الأربعة والعشرين قسيساً يسبحون الرب بترنيمة جديدة قائلين « مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذبحت وأشتريتنا لله بدمك **من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة** وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة فسنملك على الأرض » (رؤ ٥:٩، ١٠) والرسول بولس يوضح أنه فى المسيح يسوع ليس هناك فارق بين مؤمن وآخر ، إذ يقول « حيث ليس يونانى ويهودى ختان وغرلة ، بربرى سكيثى ، عبد حر بل المسيح الكل وفى الكل (كو ٣:١١) . فالفقير يتناول مع الغنى من نفس الكأس الواحد ، والعالم والأمّى يشتركان فى التناول من الجسد الواحد ، والأبيض والأسود لهما نفس الموقع من الصليب والفداء والخلاص . ولهذا فإن القوميات التى تعتز بها الكنائس وتقف حاجزاً ضد الوحدة المسيحية رغم وجود الإيمان الواحد المشترك أمر يحزن قلب الرب يسوع ؛ لأنه يتضارب مع أمانيه التى عبر عنها فى صلاته الأخيرة وسطرها يوحنا الحبيب فى الفصل السابع عشر من إنجيله .

+ لا شركة بين النور والظلمة :

على هذه الشركة الروحية لأنها قائمة على الحق ، فهى ترفض المساومة مع الباطل ، والموائمة مع الشر ، بغية إرضاء أوجه الناس ومجاملة بنى البشر ... فالرسول بولس يوضح أهمية نقاوة حياة الشركة وخلوها من الباطل يقول « إن كان أحد مدعواً أخاً زانياً أو طماعاً أو عابد وثن أو شتاماً أو سكيراً أو خاطفاً أن لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا » (١كو ٥: ١١) وفى موضع آخر يقول « نقوا منكم الخميرة العتيقة لكى تكونوا عجيناً جديداً كما أنتم فطير » (١كو ٥: ٧) . وأيضاً يقول « لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين ، لأنه أية خلطة للبر والإثم ، وأية شركة للنور مع الظلمة ، وأى اتفاق للمسيح مع بليعال ، وأى نصيب للمؤمن مع غير المؤمن ، وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان ، فإنكم أنتم هيكل الله الحى ، كما قال الله إنى سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً ، لذلك أخرجوا من وسطهم وأعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجساً فاقبلكم ، وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لى بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شىء . فإذ لنا هذه المواعيد أيها الأحباء لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة فى خوف الله » (٢كو ٦: ١٤ــ١٨) .

ويقول الرسول أيضاً فى هذا المجال ناصحاً أهل أفسس ألا يشتركوا فى أعمال الظلمة « ولا تشتركوا فى أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحرى وبخوها ، لأن الأمور الحادثة منهم سراً ذكرها أيضا قبيح . ولكن الكل إذا توبخ يظهر بالنور لأن كل ما أظهر فهو نور لذلك يقول استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضىء لك المسيح » (أف ٥ : ١١ ــ ١٤) .

وعلى ذلك نستطيع أن نقول إنه من أهم سمات الشركة المسيحية الحقيقية هى **القداسة والمحبة والشهادة والحق** ، وهذه السمات هى التى تميز كنيسة الله عن العالم ، وإن فقدت الكنيسة سمة من هذه فقدت جوهرها وكنهها وعمق رسالتها ... فنشيد الأنشاد يصف سمات الكنيسة عروس المسيح بقوله « جميلة كالقمر ، طاهرة كالشمس ، مرهبة كجيش بألوية » . (نش ٦ : ١٠)

ثانياً : الليتورجيا وحياة الشركة

أ ـ الليتورجيا شركة مع الله :

تتناغم الليتورجيات مع الكتاب المقدس فى إبراز شركة المؤمنين مع الثالوث القدوس وفى هذا الكتاب المقدس .

+ أنتم الذين جميعكم شركاء فى النعمة (فى ١:٧) .

+ من ثمَّ أيها الإخوة القديسون **شركاء الدعوة السماوية** لاحظوا رسول إعترافنا (عب ٣:١) .

+ يقول معلمنا بطرس « الذى دعانا بالمجد والفضيلة اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكى تصيروا **بها شركاء** الطبيعة الإلهية هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة . (٢ بط ١:٣،٤) .

+ ويقول معلمنا يوحنا عن هذه الشركة .
« الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لكى يكون لكم أيضاً شركة معنا وأما شركتنا نحن فهى مع الآب ومع إبنه يسوع المسيح » (١ يو ١:٣) .

+ ويتحدث عن هذه الشركة معلمنا بولس فى العبرانيين أيضاً بقوله :

« لأن المقدس والمقدسين جميعهم من واحد ، فلهذا السبب لا يستحى أن يدعوهم أخوة » (عب ٢ : ١١) .

ولعل أقوى ما جاء عن هذه الشركة التى بيننا وبين الله ما جاء فى صلاة الرب الشفاعية الأخيرة الواردة فى الأصحاح السابع عشر من إنجيل معلمنا يوحنا « أحفظهم فى اسمك الذين أعطيتنى ليكونوا واحداً كما نحن ... **ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فىّ وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا** ، ليؤمن العالم أنك أرسلتنى ، وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد » (يو ١٧ : ١١ ، ٢١) .

هذه الشركة المقدسة التى بين الكنيسة جماعة المؤمنين وبين الثالوث القدوس هى قصد الله الآب من تجسد إبنه وعمل روحه القدوس فى البيعة ... إن الله يعيش فى وحدة ... إنه ثلاث أقانيم ولكن الجوهر والطبيعة واحدة ، وهو قد خلقنا لكى نحقق مقاصده بأن يدخل الإنسان فى دائرة مجده وحبه وفرحه الأبدى فيعيش الإنسان فى حياة الشركة الإلهية متمتعاً بهذا الحب والفرح الإلهى ، ويستطيع من هذه الحياة أن يحقق حياة الألفة والشركة وبين الآخرين سواء فى حياته الأسرية أو فى حياة الكنيسة .

+ يقول قداسة البابا شنودة عن هذه الشركة : إن الله كان يعيش فى الأزل وحده ثم أشركنا معه فى الوجود ، أشركنا معه فى صورته ومثاله ــ أشركنا فى البر والقداسة ؛ فهو أبدى وأشركنا معه فى أبديته ، وهو غير محدود وأشركنا معه فى هذه اللامحدودية بأن أعطانا الشوق إلى غير المحدود . أشركنا فى أن نكون صورته فى التثليث والتوحيد بأن جعل الإنسان ذات وعقل وروح وهؤلاء واحد هكذا نحن خلقنا على صورة الله ومثاله ...

أشركنا معه فى العشرة والحب وقد أصبح الله مع الإنسان فى كل زمان ومكان ، وقد سمى نفسه عمانوئيل أى الله معنا ، وقال عن هذه العشرة « حيثما إجتمع أثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم » (١٨ : ٢٠) وعندما اقترب إلى الصليب قال « أنا أمضى لأعد لكم مكاناً وإن مضيت وأعددت لكم مكانا آتى وآخذكم إلىَّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضا » (يو ١٤ : ٢ و ٣) وفى صلاته الشفاعية قال : « أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا » وفى الأبدية عندما يأتى الرب على السحاب سيأخذنا معه ونكون مع الرب كل حين .

وليست الشركة مه لله أن يكون معنا فقط بل يكون فينا لذلك قال : « أنا فيهم وهم فىّ » . وشبّه نفسه بالكرمة ونحن

بالأغصان وأوصانا أن نثبت فيه وهو فينا .

وبولس الرسول قال : « إننا لحمه وعظامه ، وأننا أعضاء المسيح ، وقال : أنأخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية . لذلك أعتبرنا المسيح شخصه ، ووحد بين شخصه وبين الفقراء وقال : كل ما فعلتموه بهؤلاء الأصاغر فبى فعلتم .

فالمؤمن يشعر بالمعمودية أنه قد دفن مع المسيح ليقوم فى جدة الحياة ، وأن ما يحياه ليس لذاته ، وإنما للذى مات لأجله وقام ، والرب يسوع بنفسه قال : « إن أحبنى أحد يحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً » . فما أقدس هذا القلب الذى يسكن فيه الثالوث القدوس « ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء » وكلما ثبت الحق فيه وأصبحت الشركة بينه وبين الله قوية ومتبينة للغاية ؛ هذه التى عبر عنها بولس الرسول « من سيفصلنا عن محبة المسيح ، أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف ... فى هذه جميعها يعظم إنتصارنا بالذى أحبنا ، فإنى متقين انه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا » (رو ٨ : ٣٥ ــ ٣٩) .

على أنه يجب أن نوضح أن شركتنا مع الله ليست فى الجوهر أو فى الطبيعة اللاهوتية ، وإنما هى شركة فى العمل والحب والعشرة ، وحلول روح الله فينا ليس حلولاً أقنومياً كما حدث فى التجسد فى بطن البتول العذراء مريم ، وإنما هو حلول بالنعمة ؛ كما يقول بولس فى أفسس « ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم » (أف ٣:١٧) فنحن شركاء الطبيعة الإلهية ليس فى الجوهر وإنما فى العمل .

وفى عصر الرسولى والكنيسة تعرف أن حجر الزاوية فى هذه الشركة هى الولادة الثانية بالمعمودية ، والتثبيت فى الميرون ، والتناول من الجسد والدم والأقدسين ، والسيرة المقدسة المملوءة حباً والخضوع فى المناخ الكنسى والحياة العائلية ...

هنا نسمع الكنيسة فى سر المعمودية تقول فى صلاة تحليل المرأة « من أجل هذا يارب طهرت طبيعتنا وعتقتنا **بالاتحاد فى شخصك فى شركة سرية** » .

وتقول للمعمدين : **أعطهم أن يقبلوا النور وخاتم مسيحك وصيغة روحك المساوى لك ، ويصيروا حلة نورانية ، ويلبسوا لباس الخلاص وسلاح الإيمان الذى لا يغلب ، الذى لا يقاوم من المضادين لنا » وليصيروا خرافاً من قطيعك وبيننا للخدر**

السماوى ، ووارثين لملكوتك غير الفاسد الأبدى ... وأجعلهم خرافاً للقطيع المقدس الذى لمسيحك ، وأعضاء نقية للكنيسة الجامعة ، أوانى طاهرة . أبناء النور وارثين لملكوتك . بعد رشم الطفل بالميرون تصلى الكنيسة قائلة :

« أيها الرب الذى أمر بميلاد عبيده بحميم الميلاد الجديد ، وانعمت عليهم بغفران خطاياهم ، ولباس عدم الفساد ، ونعمة البنوة ، أنت أيضاً الآن يا ملكنا ارسل عليهم نعمة روحك القدوس المعزى ، وأشركهم فى الحياة الأبدية وعدم الموت ، لكى كما وعد ابنك الوحيد يسوع المسيح إذ ولدوا بالماء والروح يستطيعون الدخول إلى ملكوت السموات » .

هكذا يتضح أنه فى هذه الليتورجيات طلبات لتحقيق وعد الله بالشركة بين الإنسان وبين الله ، إذ نصبح أبناء وورثة ؛ وشركاء معه فى الميراث الأبدى وعدم الموت ، بالنعمة الموهوبة لنا مجاناً بالميلاد الثانى والحياة الجديدة التى لنا فى المسيح يسوع بالروح القدس .

أما عن سر الأفخارستيا فنجد فيه شركة الإنسان مع الله واضحة للغاية ، فكما يقول بولس الرسول فى كورنثوس الأولى : « كأس البركة التى نباركها أليست هى شركة دم المسيح ،

الخبز الذى نكسره أليس هو شركة جسد المسيح . فإننا نحن الكثيرين ... جسد واحد لأننا جميعاً نشترك فى الخبز الواحد ... (١كو ١٠: ١٦، ١٧) .

ولأهمية هذه الشركة يقول القديس أغناطيوس للكنيسة [كونوا حريصين على الإجتماع بروح الشركة ، وتمارسوا سر العشاء الربانى بروح الوحدة وتقدموا التمجيد لله ، لأنكم إن فعلتم هذا ، فإن قوة الشيطان تنهزم] .

وقد كان التفاف المؤمنين حول المذبح كل أحد ليأكلوا من ذات الخبز ويشربوا من ذات الكأس ، مصدر قوتهم وعزائهم ، مرجعهم وكرازتهم ، إذ يقول عنهم الكتاب « **وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات ... وجميع الذين آمنوا كانوا معاً ، وكان عندهم كل شىء مشتركاً ... وكانوا كل يوم يواظبون فى الهيكل بنفس واحدة ، وإذ هم يكسرون الخبز فى البيوت كانوا يتناولون الطعام بإبتهاج وبساطة قلب ، مسبحين الله ، ولهم نعمة لدى جميع الشعب ، وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة نفوس الذين يخلصون** » (أع ٢: ٤٢ــ٤٧) .

وإذا ما تتبعنا صلوات القداس الإلهى نجد أن الكنيسة

تؤكد فى ليتورجية الأفخارستيا شركة الإنسان فى الله فهى تصلى قائلة : « واجعلنا مستحقين كلنا ياسيدنا أن ننال من قدساتك طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا ، لكى نكون جسداً واحداً ، وروحاً واحداً ، ونجد نصيباً وميراثاً مع القديسين الذين أرضوك منذ البدء » .

وفى صلاة الكاهن السرية قبل التوزيع يقول :

« يارئيس الحياة ملك الدهور كلمة الله الآب ، ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، الخبز الحقيقى الذى نزل من السماء واهب الحياة لمن يتناول . اجلعنا أهلاً بغير وقوع فى دينونة أن نتناول من جسدك المقدس ودمك الكريم ، **وليصيرنا تناولنا من أسرارك المقدسة واحداً معك إلى الإنقضاء وباركنا** » .

وفى موضع آخر يصلى الكاهن « اجعلنا مستحقين كلنا ياسيدنا أن نتناول من جسدك المقدس ودمك الكريم **طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا ومغفرة لخطايانا وآثامنا لكى نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً معك** .

وفى القداس الكيرلسى فى صلاة الخضوع قبل التناول يقول الكاهن : « لكى هكذا بطهارة نتناول من هذه الأسرار النقية ونتطهر كلنا كاملين فى أنفسنا وأجسادنا وأرواحنا . **أن نصير**

شركاء فى الشكل وفى خلافه مسيحك » .

فشركة المؤمنين مع الله هى شركة فى الجسد والدم الأقدسين ، شركة فى الروح القدس ، شركة تمنحهم الطبيعة الجديدة ، وتعطيهم الهبة والنعمة والقدرة على السلوك حسب الروح وليس حسب الجسد . لأجل هذا نفهم لماذا تشدد الرسولية على المؤمنين أن يحرصوا على المواظبة على التناول من الأسرار الإلهية ، وكل من ينفصل عن هذه الأسرار هو بالضرورة قد انفصل نفسه عن الكنيسة وعن الله وعن الحياة الأبدية .

٢ــ شركة مع السمائيين :

تتميز الروحانية الأرثوذكسية باهتمامها الواضح فى ليتورجيتها بالشركة التى بين السمائيين والأرضيين ... **فالعلاقة القوية التى تربط المنتصرين الذين كملوا فى الإيمان ، مع المجاهدين الذين لا يزالون يركضون نحو الجعالة هى محور من أهم محاور الروحانية الأرثوذكسية** ... لذلك تحرص الكنيسة أن تملأ **الأيقونات** كل مكان ، على الحجاب ، على الجدران ، وفى الهيكل حتى يشعر المؤمنين أن هؤلاء القديسين أحياء ، وأنهم يجاهدون بالصلاة لأجلنا كما يقول الرسول بولس : « إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ، ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع » (عب ١٢ : ١ــ٢) .

ففى ليتورجية التسبيح لا نجد إحدى الهوسات أو الإبصاليات أو الثاؤطوكيات إلاّ وهى مليئة بذكر القديسين والقديسات والملائكة والرسل والأنبياء كدليل على الشركة بين السماء والأرض ولنذكر بعض الأمثلة لإيضاح هذه الشركة .

+ هناك إبصالية خاصة **بالفتية الثلاثة القديسين** .

+ هناك **مجمع العذراء والملائكة والرسل والشهداء** والقديسين ، يذكر فيه اسم العذراء مريم وجميع رؤساء الملائكة والأربعة الحيوانات غير المتجسدة والطغمات السمائية وأنبياء العهد القديم ويوحنا المعمدان ، والأباء الرسل ، ورئيس الشمامسة إسطفانوس ، ومارمرقس الرسول ، وعدد غفير من الشهداء والرهبان السواح ولباس الصليب والمعترفين ورجال الإيمان ... إلخ . هؤلاء تطلب الكنيسة صلواتهم ونعمتهم وشفاعتهم وقوتهم .

+ **فى ثاؤطوكية الأحد نجد التكريم لمريم الحمامة الحسنة وذكرها فى خلاص أبينا آدم وهابيل ونوح وإبراهيم وإسحق** ويعقوب وكرازة موسى وكرامة صموئيل وفخر إسرائيل وثبات أيوب وأنها صديقة سليمان ورفعة الصديقين وخلاص أشعياء وعلم حزقيال ، ونعمة دانيال وقوة إيليا ، ونعمة إليشع . وفى ليتورجية الإفخارستيا :

نجد أنه فى جميع القداسات الحرص الشديد على ذكر مجمع الأباء القديسين ؛ فتذكر الكنيسة جميع القديسين الذين أرضوا الرب منذ البدء آباءنا الأطهار ورؤساء الأباء والأنبياء والرسل والمبشرين والإنجيليين والشهداء ، والمعترفين ، وكل أرواح الصديقين الذي كملوا فى الإيمان ، وأسماء الأباء البطاركة

ورؤساء الرهبنات والثلاثمائة والثمانية عشر المجتمعين بنيقية، والمائة والخمسين بمدينة القسطنطينية ، والمائة بأفسس ... وتختم قولها ، هؤلاء الذين بسؤلاتهم وطلباتهم إرحمنا كلنا وانقذنا من أجل اسمك القدوس المبارك الذى دعى علينا . ويقرأ القارئون اسماء الأباء البطاركة لكى الرب الإله ينيح نفوسهم أجمعين ويذكر اسماء الذين تنيحوا في الإيمان لكى الرب الإله ينيحهم فى أحضان أبائنا القديسين إبراهيم واسحق ويعقوب فى فردوس النعيم .

فالكنيسة الأرثوذكسية تنظر إلى السماء والأرض ، وقد اتصلتا ببعض فى اتحاد لا ينفصل ؛ « فعندما نقف للصلاة نحسب كالقيام فى السماء » فلابد أن يحضر مع الرب على المذبح جميع الطغمات السمائية ، ليسجدوا معنا معطين الحمل كل مجد وكرامة وعز وسجود ... وبين هذه السحابة المقدسة التى يقبل الله صلواتنا فى صلواتهم **تبرز مكانة العذراء والدة الإله القديسة مريم** ، فهى لها وضع خاص فى العبادة الأرثوذكسية ؛ فهى ليست أم يسوع فقط بل هى أم كل مؤمن أيضاً ، بل هى أم الخليقة كلها ، وهى حواء الثانية التى أصلحت ذلة حواء الأولى ، هى كمال العهدين القديم والجديد ... إسمها دائم الذكر فى صلوات الكنيسة ، وأيقوناتها تملأ بيوت المسيحيين الأتقياء ، وشفاعتها كثيرة ومقبولة أمام الله من أجل الذين يحبون إبنها ويعبدونه من كل قلوبهم ..

إن الشركة بين المؤمنين والسمائيين تعطى قوة وعزاء للمجاهدين ، كما أنها تعطيهم رجاء فى أن يلحقوا بهؤلاء الذين إنتصروا وكملوا فى الإيمان ، وقد أورد لنا سفر الرؤيا مدى الأرتباط القوى بيننا وبينهم ، فعندما فتح الختم الخامس ، رأى يوحنا « نفوس الذين قتلوا من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التى كانت عندهم وصرخوا بصوت عظيم قائلين حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تقضى وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض ، فأعطوا كل واحد ثياباً بيضاً ، **وقيل لهم أن يستريحوا زماناً يسيراً أيضاً حتى يكمل العبيد رفقاؤهم وأخوتهم أيضاً العتيدون أن يقتلوا مثلهم** » (رؤيا ٦ : ٩ — ١١) .

٣ــ شركة المؤمنين معاً :

إن المؤمنين عندما يتركون بيوتهم ليذهبوا إلى الكنيسة لممارسة الأسرار الإلهية والإشتراك فى الخدمات الكنسية تمحى بينهم الفوارق الطبقية واللغوية والإجتماعية والجنسية ، إنهم الآن عائلة واحدة وأهل بيت الله مع القديسين ، إن الجو الكنسى يلفهم جميعاً بروح واحد ، وتلتئم الجماعة كلها ، وتتناغم كما يحدث لأصوات الآلات الموسيقية التى تعزف لحناً واحداً يرتله الخورس تمجيداً لاسم الله فى الكنيسة .

فالليتورجيات تصلى من أجل وحدانية القلب والروح والفكر ، كما أنها بالتالى تعمل على تنمية هذه الوحدانية بين المتفرقين وتجمعهم إلى واحد ، وتدعم بينهم حياة الشركة والوحدانية . ففى قداس القديس إغريغوريوس طلبة يجاوب الشعب بعد كل ربع منها قائلاً : كيرياليصون ، مطلعها تضرع لتدعيم وحدانية القلب « نعم نسألك أيها المسيح إلهنا ثبت أساس الكنيسة ، **وحدانية القلب التى للمحبة فلتتأصل فينا** ، ... حل تعاظم أهل البدع ونحن كلنا أحسبنا فى وحدانية التقوى ... »

وفى قداس القديس باسيليوس تصلى الكنيسة قائلة : « اجعلنا مستحقين كلنا ياسيدنا أن ننال من قدساتك طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا ؛ **لكى نكون جسداً واحداً ، وروحاً واحداً ، ونجد نصيباً وميراثاً مع جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء** » .

وفى ليتورجية الصلوات السبع تضع الكنيسة فى صلاة باكر جزء من رسالة معلمنا بولس الرسول إلى أهل أفسس لتؤكد للمؤمنين أهمية هذا الاتجاه فى حياتهم الروحية والكنسية « أسألكم أنا الأسير فى الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم إليها بكل تواضع القلب والوداعة وطول الأناه ، محتملين بعضكم بعضاً بالمحبة ، مسرعين إلى حفظ وحدانية الروح برباط الصلح الكامل ، لكى تكونوا جسداً واحداً وروحاً واحداً كما دعيتم إلى رجاء دعوتكم الواحد : رب واحد وإيمان واحد ومعمودية واحدة » .

وعلى ذلك تستطيع أن تقول أن الكنيسة تطالب أولادها بوحدانية القلب والروح ، لأنهم يعيشون لهدف واحد ولهم أب واحد ، ولهم إيمان واحد ، فمن ثم يلزم أن يحققوا هذه الوحدة بالإتضاع والوداعة وطول الأناه والمحبة ، ويحمل الأقوياء أثقال الضعفاء ليتمموا ناموس المسيح ، وكما يسرعون إلى حفظ هذه

الحياة مبتعدين عما يمزق هذه الوحدة من نميمة أو عداوة ، أو شر أو كبرياء ، أو تعالى أوأنانية أو حب للرياسة والظهور .

كم تحتاج مجتمعاتنا الدينية إلى الالتفات لصوت الليتورجيات الصارخ كل حين داعياً للوحدانية والألفة ولم الشمل ...

وتبدو الوحدة فى الليتورجيات وخاصة ليتورجية الإفخارستيا واضحة إذ يصلى الأسقف أو الكاهن من أجل الشعب ، والشعب أيضاً يتجاوب معه « ولروحك أيضاً » ، **وفى الإنسجام الحادث بين الأسقف أو الكاهن مع الشماس على الشعب صورة للألفة التى بين الجماعة بعضها بعضاً ، وتعبير عن الروح الواحد الذى ألفه ووّحده الروح القدس بإنسكاب المحبة فى قلوب الجميع .**

إن السر الكامن وراء الإنقسامات هو ضياع الهدف الواحد والحى المشترك ، إذ يسعى المنقسمون إلى أهداف أخرى غير مجد المسيح وحده . وهنا تصبح محبة الذات والعطف عليها هى مصدر كل إنقسام ، وكل تشتت وضياع للوحدانية والألفة الروحية . وفى هذا يقول معلمنا بولس الرسول « فرحاً مع الفرحين ، وبكاء مع الباكين ، مهتمين بعضكم لبعض اهتماماً واحداً غير مهتمين بالأمور العالية بل منقادين إلى المتضعين ،

لا تكونوا حكماء عند أنفسكم ، لا تجازوا أحداً عن شر بشر معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس » (رو ١٢ : ١٥ــ١٧) .

ويقول أيضاً« فلنعكف على ما هو للسلام ، وما هو للبنيان بعضنا لبعض » (رو ١٤ : ١٩) وفى صلاته لأهل رومية يدعو قائلاً : « ليعطيكم إله الصبر والتعزية أن تهتموا إهتماماً واحداً فيما بينكم بحسب المسيح يسوع لكى تمجدوا الله أبا ربنا يسوع المسيح بنفس واحدة وفم واحد ، لذلك **اقبلوا بعضكم بعضاً كما أن المسيح أيضا قبلنا لمجد الله** » (رو ١٥ : ٥ــ٧) وعندما حدثت إنشقاقات فى كنيسة كورنثوس أرسل إليهم أن يقولوا جميعاً قولاً واحداً ولا يكون بينهم إنشقاقات ، بل يكونون كاملين فى فكر واحد ورأى واحد وأعتبر الحسد والخصام والإنشقاق هو العلاقة الأكيدة أن أعضاء الكنيسة جسديون ويسلكون حسب البشر لأن واحد منهم لبولس والآخر لأبلوس . فالكنيسة التى ينشغل أعضاؤها جميعاً بتمجيد الثالوث القدوس والتسبيح والعبادة ، وخدمة الإنجيل ، والكرازة والتبشير ، وجذب النفوس الضالة ؛ كنيسة لا يحدث فيها خصومة ، وإن حدث اختلاف فى وجهات النظر كما حدث بين بطرس وبولس فى كنيسة الرسل فسرعان ما يجتمع الكل بالروح الواحد ، ويصدر القرار الواحد

« رأى الروح القدس ونحن » ومعنى هذا أننا نختلف ولكن لا تنقسم لأن الهدف واحد والروح واحد والحس الروحى مشترك ، والجميع يطلبون مجد الله وحده . أما إذا تحولت الكنيسة إلى مؤسسة أو منظمة أو هيئة أرضية لها مجال إدارة وتنظيمات بشرية ، وأصبح الأعضاء حريصين على حضور المناقشات والإجتماعات ، وغير معتادين حضور القداسات والخدمات الكنسية الروحية ؛ فإنه من الممكن أن **يحدث لها ما يحدث لجميع الأحزاب والتكتلات والهيئات من إنقسامات حادة وإنشقاقات مرة** ، لأن الروح القدس لا يعمل إلاّ فى الوحدة الروحية ، كما أن المسيح لا يستعلن إلاّ فى الجماعة المحبة المتضعة ، « والنهاية **كونوا جميعاً متحدى الرأى بحس واحد ذوى محبة أخوية مشفقين لطفاء** » (**١بط ٣:٨**) .

• شركة فى إحتياجات الخدمة :

إن ما فى داخل الإنسان لابد أن يعبر عما فيه بصور وتصرفات خارجية ، فالكنيسة المتحدة الرأى المؤتلفة حباً ، تعبر عن وحدانية الروح والقلب بتصرفات نذكر منها بعض أعمال المحبة والشركة :

• **يحرص المؤمنون على الإنفاق على خدمات المذبح ،** فيحضروا القرابين والبخور والشموع الأيقونات وأوانى المذبح ، ولوازم الخدمة من ملابس ونفقات ... وهناك أوشية خاصة بالتقدمات والقرابين تقال مرة فى رفع البخور فى صلاة باكر أو بعد سر الكاثوليكون عندما تصلى الكنيسة قائلة : « **اقبلها إليك على مذبحك المقدس الناطق السمائى ، رائحة بخور** قد تدخل إلى عظمتك التى فى السموات بواسطة خدمة ملائكتك ورؤساء ملائكتك المقدسين ، وكما قبلت إليك قرابين هابيل الصديق وذبيحة أبينا إبراهيم وفلسى الأرملة ، هكذا أيضاً نذور عبيدك إقبلها إليك ، أصحاب الكثير وأصحاب القليل ، الخفيات والظاهرات ، الذين يريدون أن يقدموا لك وليس لهم والذين قدموا لك فى هذا اليوم هذه القرابين ... أعطيهم مالا يفسد عوضاً عما يفسد ، السمائيات عوض الأرضيات ، الأبديات عوض الزمنيات ، بيوتهم ومخازنهم إملأها من كل الخيرات ... كما تصلى أوشية للقرابين مرة أخرى قبل صلاة المجمع ... والجميل فى هذه الصلوات انها تقدر الذين لم يقدموا لأن ليس لهم ، وتضعهم قبل الذين قدموا ، مما يبين أنها تنظر إلى القلوب أكثر مما تهتم بالمرئيات .

وقد كانت ليتورجية الأفخارستيا فى العصور الأولى مرتبطة بوجبة الأغابى (وليمة المحبة) وهذه كانت وليمة عائلية فيها يجتمع

الغنى والفقير ، السيد والعبد ، على قدم المساواة ، يشتركون معاً فى مأدبة بسيطة ، ويسمعون تقارير المجامع البعيدة ، ويساهمون فى أتعاب الأخوة الضرورية ، ويشجعون بعضهم بعضاً لإحتمال الأتعاب والالتزامات اليومية ، ولقد وصف أغسطينوس أمه مونيكا أنها [كانت تذهب إلى هذه الولائم حاملة سلة مملوءة تقوم بتوزيعها] (القمص تادرس يعقوب : المسيح والأفخارستيا صفحة ٥٤٧) وإن كانت هذه الولائم قد اختفت من القرن الثانى الميلادى إلاّ أن الكتاب المقدس إحتفظ لنا بتعبير الحب والإرتباط الأخوى بين الكنائس عندما ذكر معلمنا لوقا عن كنيسة الرسل ، أنهم باعوا المقتنيات ووضعوا أثمانها عند أقدام الرسل ، « وجميع الذين آمنوا كانوا معاً وكان عندهم **كل شىء مشتركاً** ... وكانوا كل يوم يواظبون فى الهيكل **بنفس واحدة** ، وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ، ونفس واحدة ، ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شىء مشتركاً » (أع ٢، ٤٤ــ٤٦، ٤: ٣٢) .

وبولس الرسول يمتدح كنيسة فيلبى لسبب مشاركتهم فى الإنجيل من أول يوم ، وأنهم أرسلوا إليه مرة ومرتين فى تسالونيكى وانه قبل عطاياهم من يد أبفرودتس نسيم رائحة طيبة ذبيحة مقبولة مرضية عند الله ويمكن للكنائس الآن تطبيق هذه

الإتجاهات بطريقة عصرية مثل :

(١) إتباع نظام العضوية الكنسية ودفع العشور للكنائس وتوزيع الحصيلة عن طريق أيدى أمينة لخدمات الكنيسة وغيرها .

(٢) إسهام الكنائس الغنية فى احتياجات الكنائس الفقيرة .

(٣) إسهام كنائس المدن فى احتياجات كنائس الريف والقرى .

(٤) تدعيم مكاتب الخدمة الإجتماعية وخاصة فى الأحياء الفقيرة وإمدادها من عطايا وإشتراكات المؤمنين فى الكنائس المجاورة وخاصة الغنية .

(٥) **إسهام الكنائس وخاصة الغنية فى خدمة الكرازة فى أفريقيا** ونشر الإنجيل فى المناطق المحتاجة والإنفاق على مشروعات التعليم الدينى ومؤسساته .

(٦) **تدعيم خدمة اللجنة العليا للتربية الكنسية والإكليريكيات والمعاهد اللاهوتية ، والدياكونية ، بنسب معينة من حصيلة العضوية الكنسية وخاصة الغنية منها .**

وهكذا إذ نحن كلنا جسد واحد ، يسهم كل عضو فى

إحتياجات الآخر لا بتعالى وتفضل ولكن بروح الحب والوحدة والشركة . فنحن إذ نحمل يسوع فينا بل صرنا جسده ، وصرنا أعضاءه من لحمه ومن عظامه ، وأكلنا من الخبز الواحد وشربنا من الكأس الواحدة ، فكيف لا نحس بأحاسيسه ، فنشارك أعضاء جسده المتألمة كما لو كانت هذه الآلام آلامنا نحن فنتوق أن نحملها عنهم . لقد وحَّد الرب يسوع نفسه مع **الفقير واليتيم والغريب والضيف والكنيسة فى ليتورجيتها تصلى من أجل هؤلاء** ، كما كانت ملتزمة بالعطاء لهم كجزء متمم لسر الشكر .

يقول القديس يوحنا ذهبى الفم على لسان الرب يسوع للمؤمنين الحريصين على خدمة احتياجات القديسين (الفقراء) .

+ أعطيتمونى كسرة يابسة ، أعطيكم ملكوت السموات .

+ وهبتمونى درهماً من الفضة ، أهبكم نعيم الحياة الأبدية .

+ كسوتمونى ثوباً أرضياً ، أكسيكم ثوب البر لتلتحفوا بالنور .

+ سقيتمونى كأس ماء بارد ، أسقيكم ماء الحياة والراحة الأبدية .

+ آويتمونى فى بيوتكم ، أسكنكم فى ديارى مع الملائكة والقديسين .

• **شركة تتقبل عزل الأشرار :**

على قدر ما تصلى الكنيسة متوسلة إلى الله أن يحفظ وحدانية القلب على قدر ما تصلى أيضاً طالبة سحق كل مؤامرات الأشرار وأهل البدع الذين يظهرون فى الكنائس كذئاب خاطفة . حذر معلمنا بولس شيوخ كنيسة أفسس منهم فى خطابه الوداعى فى الأصحاح العشرين من سفر الأعمال .

اسمع الكنيسة تقول : « **الشكوك وفاعليها أبطلهم ، ولتنقض افتراقات الكنيسة ، فساد البدع ، اعداء كنيستك المقدسة يارب أذلهم الآن كما أيضاً فى كل زمان ، حل تعاظمهم ، عرفهم ضعفهم سريعاً ، أبطل حسدهم وسعايتهم ، وجنونهم ، وشرهم ، ونميمتهم التى يصنعونها فيدا ، يارب إجعلهم كلهم كلا شيء ، وبدد مشورتهم ياالله الذى بدد مشورة أخيتوفل** ، قم أيها الرب الإله ، ولتتفرق جميع أعدائك ، وليهرب من قدام وجهك كل مبغضى اسمك القدوس ... » وهذه الأوشية الخاصة بالإجتماعات كأوشية القرابين يصليها أعلى رتبة ودرجة كهنوتية فى الكنيسة مما يبين إهتمام الكنيسة الشديد بإعطاء البركة للمحبين الودعاء ، ويطلب العزل لكل الأشرار الخبثاء الذين ينادون بالبدع ويصممون على الإنقسامات ، أو يفسدون حياة أولاد الله بطريقة أو أخرى ولا

يرتدعون بنصح أو إرشاد أو حب .

يقول الكتاب المقدس :

+ إن قلنا أن لنا شركة معه وسلكنا فى الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق (١يو ١:٦) .

وفى موضع آخر يقول :

+ لا تشتركوا فى أعمال الظلمة ... بل بالحرى وبخوها (أف ٥:١١) .

من أجل هؤلاء الأشرار وجدت المحاكم الكنسية ، والقوانين الكنسية ، ومن أجل هؤلاء يقول بولس الرسول « إعزلوا الخبيث من وسطكم » ومن أجلهم يؤكد الرسول أهمية تنقية الكنيسة كجماعة مقدسة ، وكهنوت ملوكى من أكل أعضاء سحرة أو متبدعين أو زناة أو سكيرين قائلاً : « أية شركة للنور مع الظلمة وأى أتفاق للمسيح مع بليعال » (٢كو ٦:١٤) .

ليسمح الرب أن يجعل كنيسته جماعة طاهرة مقدسة ، محبة لها شركتها المقدسة مع الثالوث القدوس ، ولها شركتها الفعالة مع السمائيين والقديسيين ، ولها شركتها مع الأعضاء بعضهم بعضاً بروح الحب والإتضاع والقداسة لنكون جميعاً فى يوم مجيئة المخوف المملوء مجدا بلا لوم ولا اضطراب ولا سقوط فى الدينونة .

الفصل الثالث

الليتورچيا والكتاب المقدس

الليتورجيا والكتاب المقدس

+ تتحدد معالم هذا المقال فى إبراز الجوانب الآتية :

١ــ الليتورجية مقوم رئيسى فى التقليد الرسولى .
٢ــ العلامة الوثيقة بين اللتورجيات والكتاب المقدس .
٣ــ الأسس الكتابية لنماذج من الليتورجيات .
٤ــ الروح الأنجيلية فى الحياة الليتورجية « التعبدية » .

الليتورجية والتقليد الرسولى :

لقد وضع الرب يسوع أساس الليتورجيات المستعملة فى الكنيسة ، فهو بنفسه الذى أسس سر الأفخارستيا أو العشاءَ الأخير ، وبعد قيامته المقدسة سلم التلاميذ كل ممارسات وطقوس هذا السر الإلهى ، إذ يذكر الكتاب أن الرب ظل أربعين يوماً يظهر لتلاميذه ويتكلم معهم عن الأمور المختصة بملكوت الله . ولا يوجد أهم من سر الأفخارستيا فى الأحاديث عن ملكوت الله فكل ما يتعلق بالليتورجيات وبالأخص سر الشكر قد إستلمته الكنيسة من التسليم الشفاهى ، وهو المسمى بالتقليد الرسولى وقد شرح لنا سفر أعمال الرسل كيف كانت كنيسة الرسل

مداومة على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلاة . (أع ٢: ٤٢ــ٤٧) .

وقد كشفت الحفريات والبرديات التى وجدت بالأديرة عن كتابات وخولاجيات تمتد فى القدم إلى القرون الأولى . نذكر منها كتابات القديس يوستينوس الشهيد التى كانت فى منتصف القرن الثانى ، وكذلك تعليم الرسل الأثنا عشر التى كتبت فى نهاية القرن الأول ، وخولاجى سرابيون الذى كان صديقاً للقديس أثناسيوس ، الذى يرجع إلى منتصف القرن الرابع ، وعظات القديس كيرلس الأورشليمى الخاصة بالأسرار ، وعظات ذهبى لفم ، وكتابات القديس أمبروسيوس عن الأسرار ، وهذه كلها حفل بها القرن الرابع .

فالليتورجية هى جزء من التقليد الرسولى الذى يعتبر الكتاب المقدس أيضاً جزءاً منه ، فكما عاشت الكنيسة بالإنجيل المعاش غير المكتوب فى القرن الأول هكذا استلمت الكنيسة الليتورجيات من خلال هذا التقليد المقدس .

إنه الإيمان الذى سُلِّم مرة للقديسين ، وتُسلم من الأباء الرسل شفاهة كوديعة ثمينة . كان كل أسقف أو راعى حريصاً على أن يحفظها بكل أمانة وتقوى سواء فى نصها أو فى روحها أو

نمط الحياة التى تدعو إليه ، وبولس الرسول يقول لتلميذه تيموثاوس « وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً » (٢تى ٢:٢) .

+ والتقليد يشتمل على قوانين الرسل وتعليمهم وكتابات المعتبرين أعمدة والليتورجيات بطقوسها وعقائدها والأسفار المقدسة التى جمعت طيلة قرنين من الزمان .

إن الكتاب المقدس سُلم للمؤمنين من خلال الكنيسة أى من خلال التقليد ، فالكنيسة هى التى حكمت على بعض الأسفار أنها قانونية وعلى البعض الآخر إنها مبتدعة . لهذا يقول ذهبى الفم : « أنى غير مستعد أن أقبل الكتاب المقدس ولا تفسيره إلا كما تعلمنى إياه الكنيسة » ، والكنيسة بدورها تستمد سلطانها من الوحى الإلهى ، من كلمة الله الحية الفعالة ، فهى لا تقيم أية ليتورجية إلا إذا تُلى فيها جزء أو أجزاء من الكتاب المقدس . فالكتاب المقدس يعطى للكنيسة سلطانها والكنيسة تعطى للكتاب المقدس قانونيته وليس ثمه تضارب بينهما بل هناك تكامل وإتساق وإتحاد والرسول بولس يقول لأهل تسالونيكى : « تمسكوا بالتعليم التى تعلمتموها سواء كان بالكلام أو برسالتنا » (٢تس ١٥:٢) .

ولقد عاشت الكنيسة قرنين من الزمان دون أن يجتمع لديها أسفار الكتاب وإنما كان الراعى يسلم الإيمان ونمط الحياة المسيحية الذى كان يسمى فى سفر أعمال الرسل بالطريق .. فالمسيحيون قبل أن يُسموا مسيحيين فى أنطاكية كان يطلق عليهم أهل الطريق . فهذا التقليد هو الذى حمى الكنيسة هذه الفترة من البدع والهرطقات وسلم للأجيال التراث الحى أنفاس القديسين ومعلمى الكنيسة الكبار والآباء الرسوليين فى وقت لم تكن فيه إمكانية لتداول الكتب والأسفار فى سهولة ويسر .

فالمسيحية مَدينة إلى هذا الزخم الروحى وهذه الوديعة الغالية التى حفظت الإيمان سليماً ...

العلاقة الوثيقة بين الليتورجيات والكتاب المقدس :

منذ أن وجدت الليتورجيات فى الكنيسة وهى تقدم على قراءات ، أساسية من الكتاب ، ففى سفر أعمال الرسل كان المؤمنون مداومين على تعليم الرسل والشركة فى كسر الخبز والصلاة ، والقديس يوستينوس من القرن الثانى عندما وصف ليتورجية الأفخارستيا ذكر قُبلة السلام, كإعداد لتقديس الأفخارستيا ثم القراءات من العهدين القديم والجديد ثم العظة ثم الصلوات الأفخارستية . (المسيح فى سر الأفخارستيا للقمص تادرس ص ٥٥٩) .

فالليتورجية منذ أيام القرن الثانى وهى تتكون من قراءات من الأنبياء والرسل وأقوال السيد الرب وشرحها فى العظة ثم صلوات التقديس ، الأمر الذى يجعلنا أن نقول يستحيل عزل مائدة كلمة الله عن مائدة الأفخارستيا .

فالعلاقة بين الأفخارستيا وهى إحدى الليتورجيات الهامة وكلمة الله علاقة صميمية « فما الكتاب المقدس إلا صوت كلمة الله الذى يدوى عبر الأجيال معلنا حبه للإنسان ، وما سر الأفخارستيا إلا جسد كلمة الله المحقق لذات الصوت الإلهى !! . فغاية الأفخارستيا والليتورجيات أن تكون شيئاً كتابياً . وقد تحدث الأباء صراحة عن تناول الكلمة بطريقتين :

١ــ من خلال القراءة فى الكتب المقدسة .

٢ــ من خلال الخبز الأفخارستيى .

فإذا ما تأملنا القداس الإلهى وجدنا أن القراءات الكتابية (قداس الموعوظين) جزء أساسى من الليتورجيا . فهناك البولس والكاثوليكون والابركسيس والمزمور والإنجيل ثم العظة .

والوعظ جزء لا ينفصل من القداس الإلهى وتفرض القوانين الكنسية على الأسقف أو الكاهن أن يعظ ليس فقط فى كل قداس إلهى بل فى كل خدمة إلهية .

إن كلام الرب مقدم للجميع فى الإنجيل ، ولكن الوعظ يوزع هذا الكلام على المؤمنين وفقاً إلى حاجتهم وأوضاعهم ومشاكلهم المختلفة . فالكاهن الواعظ يأخذ من كلام الله الواحد الوارد فى الفصل ما تستفيد منه رعيته أكبر إفادة بالنسبة إلى مستواها الثقافى ووضعها الروحى والأخلاقى ...

فالواعظ يهدف ليس فقط إلى التعليم والإرشاد ولكن من غاياته الأساسية أيضاً تحريك نفوس المؤمنين إلى التوبة التى بها يتجددون بكلمة الله ، وبها يتهيأون للأشتراك الفعلى فى قداس المؤمنين وفى التناول من الجسد والدم الأقدسين الذى هو العبادة . ليس الوعظ إذن مجرد تفسير للإنجيل ، إنما هو توزيع كلمة الرب فى ملء المسيح الكامل ، يشهد فيه الروح للكلمة شهادة حيه إذ يفتح ذهن الشعب المجتمع ليفهموا الكتب . والشعب الذى يسمع الوعظ يعيش ما أحس به التلميذان وهما فى طريقهما إلى عمواس . « ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا إذ كان يكلمنا فى الطريق ويوضح لنا الكتب » (لو ٢٤:٣٢) .

فكلمة الله الموجهة فى الإنجيل من خلال الصلاة الليتورجية لا تتطلب منا فقط فهماً وإدراكاً ذهنياً ، إنها دعوة يوجهها الرب

يسوع لكل منا شخصياً وينتظر منا جواباً عليها ، جواباً هو إلتزامنا فى تتميم مقاصد الله الخلاصية واشتراكنا فى الفداء الذى صنعه يسوع . فإحتكاكنا بالإنجيل يبقى سطحياً إن لم يكن للإنجيل إمتداد فى حياتنا ، إن لم تتجدد حياتنا بالإنجيل ، إن لم تصبح كلماته عاملة فينا .

لذلك تصلى الكنيسة أوشية الإنجيل وتطلب من الله أن يجعلنا مستحقين لسماع الإنجيل المقدس وتطوب أذاننا وعيوننا التى تسمع وترى ما اشتهاه الأنبياء ولم ينالوه .

فقمة قداس الموعظين هو الوعظ كما أن قمة قداس المؤمنين هى المناولة (ذبيحة التسبيح ص ١٦١) .

ويوضح كتاب (المسيح فى سر الأفخارستيا) أن العلاقة وثيقة بين الليتورجيات والكتاب المقدس فيقول « اقتبس الكتاب المقدس بعض عبارات من صلوات الليتورجية .. فعلى سبيل المثال ما ورد فى الرسالة إلى أهل كورنثوس (١كو ٢:٩) « كما هو مكتوب ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه » هذه العبارة لم ترد فى أى سفر من أسفار الكتاب المقدس ، إنما غالباً ما أقتبست من صلوات الليتورجية المستخدمة فى ذلك الحين » (ص ١٥٥) .

ويقول أيضاً خارج الكتاب المقدس لا نقدر أن نتفهم ما هو سر الأفخارستيا بل وتتحول الأسرار إلى أوهام . لهذا تحرص الكنيسة قبل كسر خبز الأفخارستيا أن تكسر خبز الكلمة فى الرسائل والإنجيل والعظة فتقدم لنا الفهم المشرق من الكتاب المقدس مبدداً كل ظلمة وعدم فهم فينا . فلا يمكننا قبول وليمة المسيا إن لم ننصت أولاً إلى ما تعنيه هذه الوليمة خلال فهمنا الكتاب المقدس وإذ ننعم بالوليمة نبقى أيضاً فى عوز إلى سماع كلمة الله (ص ١٥٧) .

والأرتباط وثيق أيضاً بين ليتورجية القداس والعهد القديم إذ أن غاية العهد القديم هو شخص المسيح الفادى وجميع رجالاته وأنبيائه هم رموز لشخص الرب الذى فيه كملت كل النبوات ، وذبيحة ملكى صادق أوضح بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين كيف أنها ذخرت فى العهد القديم لتكون رمزاً لذبيحة المسيح التى قدمها فى ليلة العشاء الأخير كما أن الرب نفسه بيَّن فى أحاديثه أن المن الأرضى كان رمزاً لشخصه الذى هو بالحقيقة المن السماوى .

وهكذا نجد جذور الليتورجيات ومنابعها الأولى فى أسفار العهد القديم وإن كانت تجد كما لها فى الرب يسوع الذى هو

العهد الجديد والفصح الحقيقى .. وإذا كانت ليتورجيات التسبيح والعبادة قد نشأت فى الهيكل اليهودى ثم خرجت منه لتستكمل طابعها المسيحى فإننا نجد مضمون هذه الليتورجيات قطعاً من أسفار العهد القديم ومن المزامير بصفة خاصة مع فصول من الإنجيل وصلوات أغلب كلماتها من الكتاب المقدس أو مصوغة بروح الكتاب ... ونود فى هذا المقال أن نبرز الأسس الكتابية لبعض ليتورجيات الأسرار كنماذج تطبيقية .

• **ليتورجية العماد والكتاب المقدس :**

تمارس الكنيسة ليتورجية العماد المقدس لأن الرب أمر تلاميذه أن يذهبوا ويتلمذوا جميع الأمم ويعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس (مت ٢٨ : ١٩) وقال بفمه الطاهر « من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن » (مر ١٦ : ١٦) وهى ترى أن جذور المعمودية تمتد إلى العهد القديم ، فالروح القدس الذى كان يرف على وجه المياه هو عينه الذى يقدس ماء جرن المعمودية ، وهو فى القديم الذى بدأ الخليقة المادية ، لا يزال وفى العهد الجديد يخلق الولادة الثانية والحياة الجديدة .

وهى ترى أيضاً فى فلك نوح مثالاً إذ يقول بطرس الرسول : « الذى فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن ، إذ

عصت قديماً حين كانت أناة الله تنتظر مرة فى أيام نوح ، إذ كان الفلك يُبنى الذى فيه خلص قليلون أى ثمانى أنفس بالماء ، الذى مثاله يخلصنا نحن الآن أى المعمودية لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح (١بط ٣:١٩ــ٢١) .

وهى ترى أيضاً أن عبور شعب إسرائيل من أرض العبودية إلى سيناء هو مثال ورمز للمعمودية ، كما عبر عن ذلك بولس الرسول بقوله :

« فإنى لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة ، وجميعهم إجتازوا فى البحر ، وجميعهم إعتمدوا لموسى فى السحابة وفى البحر ... (١كو ١٠:١،٢) .

كما ترى أن عبور شعب إسرائيل من سيناء إلى كنعان فى بيت عبرة فى الأردن وهو نفس المكان الذى عمّد فيه يوحنا الرب يسوع ــ إنما هو إشارة حيه إلى سر المعمودية الذى فيه يعمل الرب يسوع والروح القدس لإنتقال الإنسان من الظلمة إلى النور ومن عبودية الجسد إلى حرية مجد أولاد الله ... (يش ٣) وهى تمارس معمودية الأطفال لأن سفر أعمال الرسل يزدحم بالحالات التى فيها عمد الرسولان بولس وبطرس أناساً بكل

عائلاتهم ، مثل عماد بطرس لكرنيليوس وأهل بيته (أع ١٠) ، وعماد بولس لليدية وبيتها (أع ١٦) ، وعماد بولس لسجان فيلبى وأهل بيته (أع ١٦) ، وعماد بولس لكريسبس وكل بيته (أع ١٨) .

إن الكنيسة تهدف من سر الزيجة ولادة البنين لا ولادة جسدية وإنما ولادة روحية لأن الولادة الجسدية فقط تنتهى بالهلاك كما يقول ذهبى الفم أما الولادة الروحية فهى تغرس أعضاء فى الملكوت لهذا يحرص الولدان على عماد أطفالهم حتى تضمن لهم الطبيعة الجديدة ..

وعماد الأطفال يأتى من منطلق إحساس الكنيسة أن الأسرة المسيحية كنيسة كما أن الكنيسة أسرة وعائلة وأهل بيت الله . لهذا يلزم أن يكون جميع أعضاء هذه العائلة سواء فى البيت أو فى الكنيسة قد نالوا الطبيعة الجديدة وولدوا من فوق بالماء والروح .

وإذا ما وصلت الكنيسة لأجل تحليل المرأة التى ولدت فهى تختار الإنجيل حسب معلمنا لوقا (ص ٢) الذى فيه إختتن المسيح ، وتقدمت مريم بالذبيحة حسب الناموس بعد كمال أيام التطهير ...

وعندما تدهنهم بالزيت المقدس (الغلاليون) بعد جحد الشيطان فهى تمارس ما كان الرب يأمر به فى القديم بوضع الزيت على جسد الأبرص للتطهير (لا ١٤،١٣) .

قراءات سر المعمودية :

تقرأ الكنيسة البولس من (تيطس ٢:١١—٣:٨) وفيه يتحدث الرسول قائلاً : « ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال فى بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس الذى سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا » (تى ٣:٤—٦) .

والكاثوليكون من يوحنا الأولى (١يو ٥:٥) عن الشهود الثلاثة « والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم فى الواحد » .. وان الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هى فى ابنه .

وأما **الابركسيس** فهو من (أعمال الرسل ٨:٢٦) الذى فيه عماد فيلبس لخصى كنداكة الحبشى وكيف عمده فيلبس فى الماء ، ولما صعدا من الماء أختطف روح الرب فيلبس ولم يعاينه الخصى بعد ..

والمزمور ينشد قائلاً : طوباهم الذين غفرت لهم آثامهم وسترت خطاياهم ، طوبى للرجل الذى لم يحسب له الرب خطية ولم يوجد فيه غش ، هلليلويا ، ويطالعنا **الإنجيل** من يوحنا (يوحنا أصحاح ٣) عن لقاء المسيح مع نيقوديموس والحديث عن المعمودية ، « الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله» وفى صلوات الكاهن على الماء يذكر جميع الرموز التى فى العهد القديم عن المعمودية ..

+ الذى خلق المياه فوق السماء وثبت الأرض على المياه ، الذى جمع المياه إلى مجمع واحد (تك ٢) .

+ أنت نظرت على المياه البحر الأحمر بمخافتك فاقمتها وعبرت إسرائيل وبموسى عمدتهم جميعاً (خر ١٤) .

+ أنت أمرت الصخرة الصماء فافاضت الماء لشعبك (خر ١٧) .

+ صعيدة إيليا التى بالماء قبلتها بالنار من السماء (١مل ١٨) .

+ نعمان السريانى طهرته بمياه الأردن (٢مل ٥) ...

وتقول الكنيسة أيضاً قطعاً كثيرة من المزامير عندما يسكب الكاهن الميرون على مياه المعمودية ويحركها (مز ٢٨) صوت

الرب على المياه ، (مز ٣٣) تعالوا إليه لتستنيروا ، (مز ٦٥) جزنا فى النار وأخرجنا إلى الراحة ، (مز ٥٠) تنضح علىّ بزوفاك فأطهر تغسلنى فأبيض أكثر من الثلج .. (مز ١٢١) الرب اختار صهيون ورضيها مسكناً له .. الليلويا .

المعمودية سميت الأستنارة لأنها تعطى الحياة الجديدة والطبيعة الجديدة وتنقل المعمد من الظلمة إلى النور ومن سلطان الشيطان إلى الله (أع ٢٦:١٧،١٨) فالمسيح هو الذى أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل (٢تى ١:١٠) وفى هذا يقول بولس الرسول : « شاكرين الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين فى النور الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته » (كو ١:١٣،١٤) . وخلع الثياب إشارة إلى خلع الإنسان العتيق مع كل أعماله (كو ٣:٩) ونتعرى تماماً على شبه عرى المسيح على الصليب وبعريه قضى على الرؤساء والقوات جهراً وانتصر عليهم بالصليب (كو ٢:١٥) .

إننا نتمثل بآدم الأول الذى كان عارياً فى الفردوس ولم يخجل (كو ٢:١٥) .يرتدى الإنسان الملابس الجديدة أى الحياة الجديدة . أى المسيح نفسه (راجع كتابنا عن الميلاد الثانى) .

وهكذا يتضح لنا أن ليتورجية المعمودية كتابية فى كل شىء فى أساسها وقوامها فى صلواتها وتضرعاتها فى ممارساتها وطقوسها ...

* **ليتورجية الميرون والكتاب :**

تصلى الكنيسة قائلة : « أنعم بالروح القدس عند نضح الميرون المقدس ليكون خاتماً محيياً وثباتاً لعبيدك » .

وفى هذا ترى الكنيسة أن عملية تكريس الشخص المعمد لها جذورها فى العهد القديم ، كما لها أيضاً شواهدها وأسسها فى العهد الجديد ...

ففى العهد القديم يمسح الملوك والكهنة والأنبياء بدهن التكريس « ولبنى هرون تصنع أقمصة وتصنع لهم مناطق وتصنع لهم قلانس للمجد والبهاء وتلبس هرون أخاك إياها وبنيه معه وتمسحهم وتملأ أياديهم وتقدسهم ليكهنوا لى » (خر ٢٨: ٤٠، ٤١) .

« وتمسح هرون وبنيه وتقدسهم ليكهنوا لى ، وتكلم بنى إسرائيل قائلاً يكون هذا لى دهناً مقدساً للمسحة فى أجيالكم » (خر ٣٠: ٣٠، ٣١) .

ونجد شاهداً آخر فى العهد القديم عندما أخذ صموئيل قرن الدهن ومسح داود فى وسط أخوته ، وحل روح الرب عليه من ذلك اليوم فصاعداً ثم قام صموئيل وذهب إلى الرامة (١صم ١٦:١٣) .

والمسحة الحقيقية هى التى مسح بها الرب يسوع كرئيس كهنة إلى الأبد « روح السيد الرب علىّ لأنه مسحنى » (إش ٦١:١) .

وهو الذى مسحه الآب بدهن الإبتهاج لأنه أحب البر وأبغض الإثم وكل ثيابه مر وعود سليخة (مز ٤٥:٦) .

وتنحدر هذه المسحة من الرأس على أعضاء الجسد كما ينحدر الطيب من لحية هرون إلى جيب قميصه حيث أمر الرب بالبركة والحياة إلى الأبد . والمسحة المقدسة هى عمل الروح القدس الذى وعد المسيح أن يرسله من عند الآب ليمكث معنا إلى الأبد (يو ١٤:١٦) .

وأنه متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدنا إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبرنا بأمور آتية (يو ١٦:١٣) . •

وكانت كنيسة الرسل تنمو وتبنى وتتكاثر بعمل الروح القدس ، وكان الرسل يضعون الأيدى على المعمدين فيحل الروح كما حدث عند أهل السامرة التى قبلت كلمة الله فأرسلوا إليهم بطرس ويوحنا اللذين وضعا الآيادى عليهم فقبلوا الروح القدس (أع ٨: ١٤ــ١٧) وكما حدث أفسس عندما سأل بولس أهل أفسس هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم فقالوا له ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس ... فلما سمعوا إعتمدوا باسم الرب يسوع ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس (أع ١٩: ١ــ٦) .

هكذا كانت المسحة أيام الرسل بوضع الأيادى ولما كثر عدد المؤمنين قدست الكنيسة الميرون بالصلاة وحلول الروح القدس عليه لترشم الكنيسة المتعمد على مثال الصليب كل واحد ٣٦ صليباً وهى تقول مسحة نعمة الروح القدس آمين ، مسحة عربون ملكوت السموات آمين ، دهن شركة الحياة الأبدية غير المائتة آمين ، مسحة مقدسة للمسيح إلهنا وخاتم لا ينحل آمين ، كمال نعمة الروح القدس ودرع الإيمان والحق آمين ، وينفخ الكاهن فى وجه المتعمد قائلاً : إقبل الروح القدس وكن إناءً طاهراً من قبل يسوع المسيح ربنا الذى له المجد مع أبيه الصالح والروح القدس .

ويصلى الكاهن قائلاً : أنت أيضاً الآن يا ملكنا إرسل عليهم نعمة روحك القدوس المعزى وإشركهم فى الحياة الأبدية وعدم الموت » .

وعندما يضع الكاهن الإكاليل على المتعمدين تصلى الكنيسة قائلة : بارك هذه الأكاليل التى هيأناها ليلبسها عبيدك الذين إتحدوا بالعماد المقدس لكى تكون لهم أكاليل مجد وكرامة آمين . أكاليل بركة ومجد آمين ، أكاليل فضيلة وبراً آمين ، أكاليل حكمة وفهم آمين .. وإمنح عبيدك أن يكونوا مملوئين من نعمة روحك القدوس .

وبهذا تحقق الكنيسة قول الرسول يوحنا : « وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء ... وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهى حق وليست كذباً كما علمتم تثبتون فيه » (١يو ٢:٢٠،٢٧) .

ويتحقق قول بولس الرسول أيضاً : « ولكن الذى يثبتنا معكم فى المسيح وقد مسحنا هو الله ، الذى ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح فى قلوبنا » (٢كو ١:٢١،٢٢) .

وفى ختام ليتورجية الميرون تنشد الكنيسة بروح الفرح والتهليل قائلة : « اقبل أيها الطفل المبارك الروح المعزى والبركة السمائية من قبل مسحة الميرون المقدس ، إقبل الرحمة والرجاء ، إقبل روح الفرح والتهليل . إقبل الروح المملوء مجداً من عند المسيح ملك المجد .

نلت نعمة وبركة من عند ربنا يسوع المسيح وصرت مسكناً للروح القدس الذى له المجد مع الآب والأبن إلى الآباد آمين » .

* **ليتورجية سر التوبة والكتاب :**

تتلخص هذه الليتورجية فى أن يشعر المؤمن بحاجته إلى المخلص ، ويراجع نفسه فيما عمله ، ويندم من كل قلبه على خطاياه وضعفاته ، ثم يتوب عنها أمام الله . ويأتى إلى الكاهن مقراً بذنبه ، ويصلى الكاهن صلوات خاصة قبل الاعتراف ثم بعد الاعتراف ، ويقدم للمعترف الحلول والتأديبات الكنسية والتداريب ثم يقرأ له التحليل . وفى العصور الأولى كان يمارس الكاهن هذه الليتورجية فى الكنيسة وهو لابس ملابس الخدمة . أما فى العصر الرسولى فقد كان الداخلون إلى الإيمان يأتون مقرين ومخبرين بأعمالهم أمام الكنيسة كلها (أع ١٩:١٨) وهذا الاعتراف العلنى إستبدل بالاعتراف أما الإكليروس ... ويستمد هذا السر جذوره وأسسه الكتابية مما يلى :

+ إن آدم وحواء عندما برزا أنفسهما سقطا فى المعصية ، بينما لو كان الواحد منهما قد اعترف بخطئه لرفع الرب ، عنه إثمه ، خاصة وأن الرب أعطاهم الفرصة للإقرار والتوبة .

+ ويقول داود النبى : « لما سكت بليت عظامى من زفيرى اليوم كله لأن يدك ثقلت على نهاراً وليلاً ، تحولت رطوبتى إلى يبوسة القيظ ، أعترف لك بخطيئتى ولا أكتم إثمى قلت أعترف للرب بذنبى وأنت رفعت آثام خطيئتى » (مزمور ٣٢ : ٢ ــ ٥) .

+ ويقول إشعياء النبى : « إطلبوا الرب مادام يوجد إدعوه وهو قريب ، ليترك الشرير طريقه ، ورجل الإثم أفكاره ، وليتب إلى الرب فيرحمه ، وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران » (إش ٥٥ : ٦ ، ٧) .

وفى موضع آخر يقول : « قد محوت كغيم ذنوبك ، وكسحابة خطاياك إرجع إلىَّ لأنى فديتك » (إش ٤٤ : ٢٢) .

+ ويردد حزقيال نفس المعنى « إذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التى فعلها . وحفظ كل فرائضى ، وفعل حقا وعدلا ، فحياة يحيا لا يموت .. هل مسرة أسر بموت الشرير يقول السيد الرب إلا برجوعه عن طرق فيحيا » (حز ١٨ : ٢١ ، ٢٣) .

+ ومبدأ الإقرار بالخطيئة والاعتراف بها كان عنصراً هاماً فى تقديم ذبائح الخطيئة والإثم فى ناموس موسى « إن كان يذنب فى شيء من هذه يقر بما قد أخطأ به ويأتى إلى الرب بذبيحة لإثمه ... فيكفر عند الكاهن من خطيئته (لا ٥:١ــ٦) .

+ وفى سفر اللاويين نجد هرون يضع يديه على رأس التيس الحى ويقر عليه بكل ذنوب بنى إسرائيل وكل سيآتهم مع كل خطاياهم ويجعلها على رأس التيس ويرسله بيد من يلاقيه إلى البرية (لا ١٦:٢١) ، وكان أمر الرب لهرون أن كل من يذنب فى شيء يقر بها قبل أن يقدم ذبيحة (لا ٥:٥) وإن أقروا بذنوبهم وذنوب آبائهم فى خيانتهم ... أذكر ميثاق مع يعقوب يقول الرب (لا٢٦:٤٠ــ٤٥) .

+ وعندما ذهب ناثان لداود الملك ليوبخه على خطيئة الزنا التى إقترفها قال داود لناثان قد أخطأت إلى الرب فقال ناثان لداود : الرب أيضاً قد نقل عنك خطيتك لا تموت (٢صم ١٢:١٣) .

+ وفى معمودية يوحنا جاء إليه كثيرون وأعتمدوا منه فى الأردن معترفين بخطاياهم (مت ٣:٥،٦) .

+ والرسول يعقوب يقول : « إعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكى تشفوا . طلبة البار تقتدر كثيراً فى فعلها (يع ٥:١٦) .

+ ويوحنا الحبيب يقول : « إن إعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا » (١يو ١:٩) وفى مثل الابن الضال يوضح الرب أن الابن عندما إعترف بخطيته وعزم على الرجوع ، وكانت الأحضان الأبوية فى إنتظار توبته وإعترافه لترده إلى رتبته الأولى (لو ١٥:١٨ــ٢٠) .

أما أن الكنيسة قد جعلت الاعتراف أمام الكاهن فهذا يرجع إلى أن الخطيئة التى يفعلها المؤمن هى موجهة نحو المسيح كرأس الكنيسة ، وإلى الكنيسة أيضاً كجسد فكلنا عشيرة وأهل بيت الله وأمة مقدسة وشعب اقتناء . فالحس العائلى والرابطة الأخوية تلزم المؤمن أن يعترف للكنيسة لأن ما يصيبه يصيب الجماعة لأننا كلنا أعضاء الجسد الواحد ، من هنا يلزم تقديم الاعتراف للكنيسة ، والإكليروس هم الجديرون أن يتلقوا هذه الاعترافات لأنهم قد أُعطوا الحل والربط (مت ١٦:١٩) « الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء » (مت ١٨:١٨)

والله الذى قبل توبة أهل نينوى يقول الكتاب المقدس : « فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه » (يون ٣ : ١٠) فكم بالأحرى الآن ونحن مصالحون بدمه نخلص بحياته ونجد جرأة وقدوماً أمام الآب فى صليب ابنه ، ونتقدم بثقة إلى عرش النعمة مقرين بخطايانا واثقين فى الغفران لأنه أمين وعادل وهو الذى يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون .

وصلاة التحليل التى يصليها الكاهن على رأس المعترف نلحظ فيها :

١ــ أن قوة الغفران هى من لدن الرب نفسه وليس من إستحقاق إنسان : « أيها السيد الرب يسوع كلمة الآب الذى قطع كل رباطات خطايانا من قبل آلامه المخلصة المحيية » .

٢ــ إنها تستمد قوتها من الرب يسوع الذى أعطى سلطان الحل والربط للتلاميذ : « الذى خاطب تلاميذه القديسين قائلاً كل ما حللتموه على الأرض يكون محلولاً ... وكل ما ربطتموه يكون مربوطاً » .

٣ــ إنها طلبة وتذلل لكى الرب الإله يعطى الرحمة والغفران : « ارزقنا رحمتك ، واغفر لنا خطايانا ... كصالح ومحب للبشر وكعالم بضعف البشر أنعم علينا بغفران خطايانا .

٤ــ إن الكاهن يطلب من أجل نفسه مع المعترف لأن الكل يحتاج إلى الغفران . والمسامحة .

وعلى ذلك يبطل القول أن الكاهن هو الذى يمنح المغفرة ، وأن المؤمن له القدرة أن يطلب من الله مباشرة دون الحاجة إلى الإكليروس . فالتوبة مقررة وضرورية كتابياً ، وكذا سلطان الحل والربط مقرر أيضاً للإكليروس من قبل الرب كما تشهد الكتب المقدسة . « ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس من عفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه امسكت » (يو ٢٠ : ٢٢ــ٢٣) .

ليتورجية مسحة المرضى والكتاب :

يقول معلمنا يعقوب الرسول : « أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ، ويدهنوه بزيت باسم الرب ، وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه ، وإن كان قد فعل خطية تغفر له » (يع ٥ : ١٤، ١٥) .

والرب له المجد قد أعطى تلاميذه ورسله هذا السلطان أن يخرجوا الشياطين ويشفوا كل مرض وكل ضعف (مت ١٠:١) .

ووعدهم أنهم إذا شربوا شيئاً ممبتاً لا يضرهم ، ويضعون أيدهم على المرضى فيبرأون (مر ١٦:١٧ــ٢٠) ونفذ التلاميذ أمر الرب فخرجوا وصاروا يكرزون للناس أن يتوبوا ، كما أخرجوا شياطين كثيرة ، ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم (مر ٦:١٣) وتستخدم الكنيسة الزيت لأن الرسول يعقوب أمر بهذا ، ولأن فى العهد القديم أوجبت شريعة تطهير الأبرص أن يمسح المريض بالزيت بعد التكفير عنه بالدم (لا ١٤:١ــ٣٦) ، فصلاة مسحة المرضى تشفى أجسادنا ونفوسنا وأرواحنا من الخطيئة والمرض المرموز له بالبرص فى العهد القديم .

وفى مطلع الليتورجية تصلى الكنيسة قائلة : « يامن أمر المرضى أن يدعو قسوس البيعة الذين هم خدام لاهوتك ويدهنوهم بالزيت المقدس ليخلصوا ، نج أيها الصالح عبدك (فلان) من قبل هذه المسحة المقدسة بشفاعة العذراء ام الخلاص .

إشف يارب أنفسنا وأجسادنا برشمك الإلهى ويدك العالية لأنك أنت ربنا كلنا ، بشفاعة العذراء أم الخلاص ، ياطبيب

المرضى وغافر الخطايا ... إرسل على عبدك من العلو غيث رحمتك وإغسل أدناسه ، وإنضح من زيت وخمر شفائك على جراحاته ...

وتقرأ الكنيسة **الكاثوليكون** من رسالة يعقوب (٥:١٠ــ٢٠) الذى يتحدث فيه الرسول عن هذا السر الإلهى ، وتختار الكنيسة المزمور السادس لتنشد فى صلواتها . إرحمنى يارب فإنى ضعيف ، إشفنى يارب فإن عظامى قلقت . يارب لاتبكتنى بغضبك ولا تؤدبنى برجزك الليلويا ، ويطالعنا **الإنجيل** من بشارة معلمنا يوحنا الأصحاح الخامس الذى تم فيه شفاء المقعد عند بركة بيت حسدا .

وفى **الصلاة الثانية** تقرأ رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية (**١٥:١ــ٨**) عن الصبر والتعزية ، وأما **الإنجيل** من بشارة معلمنا لوقا الأصحاح ١٩ عن الخلاص الذى حصل فى بيت زكا كإشارة للشفاء الحقيقى الذى تطلبه الكنيسة وهو خلاص نفس المريض ، وفرح السماء بخاطىء واحد يتوب .

وفى **الصلاة الثالثة** تقرأ الكنيسة **البولس** من رسالة كورنثوس الأولى (١٢:٢٨ ، ١٣:١ــ٨) وفيه الحديث عن مواهب الشفاء ، أما **الإنجيل** فمن السلطان الذى أعطاه الرب للرسل على الأرواح الشريرة والأمراض (مت ١٠:١ــ٩) .

وفى **الصلاة الرابعة** تعزى المريض بقراءة من رسالة رومية (٨:١٤ــ٢٢) بأن الآم هذا الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا حتى ترفع روحه بالرجاء إلى الإكليل الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل . وأما **الإنجيل** فهو من بشارة معلمنا لوقا الأصحاح (١٠:١ــ١٠) وفيه الأمر الإلهى أن يشفوا المرضى ويقولوا للناس إنه قد اقترب منهم ملكوت الله .
وفى **الصلاة الخامسة** نطالع البولس من رسالة غلاطية (٢:١٦ــ٢١) والذى فيه يعلن الرسول « أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ » والمزمور « أخرج نفسى من الحبس » (مز ١٤١:٧) **والإنجيل** من بشارة يوحنا الأصحاح (١٤:١ــ٢٠) « إنى أنطلق لإعد لكم مكاناً وإن إنطلقت وأعددت لكم مكاناً فسوف آتى وأخذكم إلىّ ، لتكونوا أنتم حيث أكون أنا » ، وذلك لترفع قلب المريض إلى الحياة الأبدية ، ويكون مستعداً أن يذهب إلى المكان المعد له من قبل الرب .

وأما **الصلاة السادسة** فرسالة البولس من كولوسى (٣:١٢ــ١٨) وفيها الحديث عن طول الأناة والإحتمال والشكر ، بينما **الإنجيل** من بشارة معلمنا لوقا (٧:٣٦ ــ الخ) عن المرأة التى دهنت قدمى المسيح بالطيب وإذ أحبت كثيراً غُفر لها كثيراً .

وفى النهاية يتلو الكاهن **الصلاة السابعة** وفيها البولس من رسالة أفسس (٦ : ١٠ــ١٩) عن أسلحة النضال الروحى حتى يثابر المريض على الصلاة والطلبة والتمسك بدرع البر وخوذة الخلاص وسيف الروح وترس الإيمان ، وأما **الإنجيل** من بشارة معلمنا متى (٦ : ١٤ــ١٩) عن غفران الخطايا وشرط مسامحة الناس لكى يسامحنا الرب ، وتصلى الكنيسة لأجل المريض ليقيمه كما أقام حماة سمعان ، وكما قبل توبة داود ، وتوبة منسى ويشفيه من كل الأمراض وتكمل مشيئته بشفاعة جميع القديسين والرسل الذين وهبوا السلطان لإخراج الأرواح النجسة وشفاء كل مرض وسقم آمين ..

وهناك ليتورجيات أخرى مثل ليتورجية تقديس الكنائس والمذبح وأوانى الخدمة ، وليتورجية التجانيز وليتورجية التسبحة اليومية ، وليتورجية الصلوات السبع ..

هذه جميعها إذا ما درسناها دراسة جيدة لوجدنا أنها تستمد ينابيعها من العهد القديم وتستكمل صورتها بالقراءات الكتابية من العهد الجديد وجميع صلواتها مأخوذة إما من الكتاب مباشرة أو موضوعة من الآباء بروح الكتاب .

وهكذا نستطيع أن نقول أن الليتورجيات فى الكنيسة الأرثوذكسية لا يمكن الأستغناء عنها كما لا يمكن الأستغناء عن الكتاب المقدس فكلاهما مقدس وكلاهما ضرورى للبنيان وكل من يستبعد من حياته إحدهما يحرمها من مصدر أصيل ونبع هام لبنيانها .

• ليتورجية سر الزيجة والكتاب :

تستند الكنيسة الأرثوذكسية فى ممارسة هذه الليتورجية على ما صنعه الله فى الجنة إذ أسس بنفسه هذا السر ، عندما بنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم إمرأة ، وأحضرها إلى آدم ، وقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى ... « لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته ويكونان جسداً واحداً (تك ٢:١٨ ، ٢١ــ٢٤) وهو الذى قال لنوح بعد أن باركه « إثمروا وأكثروا وإملأوا الأرض » (تك ٩:١) ، وفى حياة الرب يسوع المباركة على الأرض ذهب إلى عرس قانا الجليل وبارك العرس وصنع أول معجزة عندما حول الماء إلى خمر مفيقة والكنيسة فى حرصها وتقديسها لهذا السر ترتب له بمقدمات كثيرة لعل أهمها هو إتمام الخطوبة ثم عقد الأملاك التى فيها يعلن أمام جماعة المؤمنين خطبة ابن من أبنائها على إبنة من بناتها وفى

عقد الأملاك تقرأ الكنيسة **البولس** من كورنثوس الأولى لتذكرهم بما فى هذا الجزء إنهما قديسان وإنه يلزم أن يكونا بقلب واحد ورأى واحد ، فلا إنشقاقات أو إنقسامات ، وأما **الإنجيل** فهو بدء بشارة معلمنا يوحنا ليكون بدء تعارفهما فى النور الحقيقى الذى هو يسوع المسيح ربنا والذى به كانت الحياة والحياة كانت نور الناس ، والنور أضاء فى الظلمة ، والظلمة لم تدركه .. أما فى **الإكليل المقدس** فتقرأ الكنيسة **رسالة بولس الرسول** (أفسس ٥:٢٢) الذى يتحدث فيه عن العلاقة بين النساء والرجال وإلتزامات كل إزاء الآخر . وتنشد من المزمور ١٨ « مثل العريس الخارج من خدرة يتهلل مثل الجبار المسرع فى طريقه — إمرأتك تكون كالكرمة التى تزهر فى جوانب بيتك » . وتقرأ أيضاً **الإنجيل** من معلمنا متى الأصحاح ١٩ ما أجاب به يسوع الفريسيين عن الطلاق من أجل كل علة ، وأوضح أن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان ... وفى صلواتنا تسرد أمثلة للزواج الصالح مثل زيجات إبراهيم واسحق ويعقوب ، وتطلب قائلا يامن حل فى عرس قانا الجليل وباركه ، ونقل الماء إلى خمر حقيقى بسلطان لاهوته بارك وأستر هذا العرس بسلامة وألفة ومحبة وتتضرع لكى يتصلا بعضهما ببعض بجسد واحد ويدخلا إلى ناموس الفرح ، ويدهنهما الكاهن بالزيت لأن الزيت يرمز إلى التقديس والتخصيص للرب (تك ٢٨:١١—١٩) كما هو رمز

للسهر والاستعداد لملاقاة العريس الحقيقى (مت ٢٥) وهو أيضاً للبركة والإمتلاء (٢مل ٤:٦) ، وتنشد من المزامير « دهنت بالزيت رأسى وكأسك أسكرتنى مثل الصرف ورحمتك تدركنى جميع أيام حياتى ... الرب أرسل ملاكة وأخذنى من غنم أبى ومسحنى بدهن مسحته . ثم تضع عليها الأكاليل إشارة إلى المُلك المقدس وهذا يتحقق فى ضبطهما لغرائزهما وتوجيههما بالحب لتكون ذبيحة مقدسة مرضية أمام الله » كما أن هذه الأكاليل تشير إلى الإستشهاد على حد تعبير بول أفدكيموف « لأن الشهيد يأخذ الإكليل فى لحظة أما المتزوجان فيأخذانه عبر ضيقات الحياة الأجتماعية والصبر فى المعاناة اليومية » .. وتوشحهما بالحلة الملوكية وتصلى قائلة : ضع يارب على عبيدك أكاليل النعمة غير المغلوبة أكاليل مجد وكرامة .. أكاليل أمانة حسنة غير محاربة ... كللهما ... باركهما ... قدسهما ...

والكنيسة الأرثوذكسية كتابية فى أهدافها كما فى صلواتها فى ليتورجية الزواج .

+ **فمن جهة الأهداف :**

هى ترى أن الزواج شركة مقدسة وإفصاح عن صورة الله فى الإنسان فغاية الزواج قبل المسيح أن يأتى المسيح لخلاص البشر ، وغاية الزواج بعد المسيح توحيد البشر فى المسيح وإعادة خلق

البشر فى المسيح عن طريق إعطاء أبناء للكنيسة . فالأسرة المسيحية هى علاقة الملكوت وشاهدة له ، والمحبة القائمة بين الأزواج والزوجات ، وبين الأباء والبنين ، سوف تدوم فى الأبدية وتدخل فى الخلود . إن المحبة القائمة بين أبناء الأسرة تمثل الصورة التى أرادها الله فى النموذج الرائع الذى عقده فى الجنة .. والحب الزوجى كنسياً هو رمز لحب المسيح وكنيسته .

+ ومن جهة صلوات الليتورجية :

رأينا تركيز الكنيسة على قراءات فصول كثيرة من رسائل معلمنا بولس ومن الأناجيل المقدسة وهى فى مجموعها تكثف فكر الوحدة والشركة وتقديس المضجع وولادة البنين ولادة روحية وليس ولادة جسدية فقط وتطلب للعريس مسحة طهارة وعدم فساد وفرح وغلبة وتجديد وخلاصاً لنفسيهما وجسديهما وروحيهما .

يرى ذهبى الفم أن الرب يسوع دعى إلى عرس قانا الجليل ليحيط الزواج بالنعمة ويفيض نعمته لاحتمال الآلام المقبلة للشريكين .

الليتورجيا والروح الإنجيلية :

إذا كانت أهم معالم الروح الإنجيلية هى :

١ــ البهجة بالخلاص المجانى .

٢ــ والكرازة بالتوبة وملكوت السموات .

٣ــ وحياة الألفة والشركة والوحدة المقدسة فى المسيح يسوع .
٤ــ والشهادة للحق ومقاومة الباطل وأعمال الظلمة .

فإننا نجد الليتورجيات الكنسية تتناغم مع الروح الإنجيلية تمام التناغم .

البهجة والخلاص :

إن صلوات **ليتورجية العماد** مملوءة بالألحان المفرحة وترنيم المزامير ووضع الأكاليل والثياب البيضاء المبهجة والأنوار المقادة والشموع المضاءة ، فيها الشعب يقول : « تهلل مثل الحملان أيها الأردن وبريته ، لأنه قد أتى إليك الحمل حامل خطية العالم هلليلويا . هلليلويا .. هلليلويا ، يسوع المسيح ابن الله إعتمد فى نهر الأردن كعظيم رحمتك » .

وفى ليتورجية سر الزيجة نجد أن الألحان المفرحة والقطع المليئة بالفرح والبهجة التى تعلنها الكنيسة لإتمام سر الشركة ليكون الاثنان واحداً فى المسيح يسوع .

وفى ليتورجية الأفخارستيا إضافة إلى الألحان المفرحة وصلوات الشكر على الخلاص المجانى ، يقول الكاهن فى نهاية القداس « فمنا امتلأ فرحاً ولساننا تهليلاً » . كما يردد مزمور « ياجميع الأمم صفقوا بأيديكم » ، وأثناء التوزيع يردد الشعب

مزمور « سبحوا الله فى جميع قديسيه ، بالمزمار والقيثار ، بالأوتار والأرغن ، بصنوج حسنة الصوت ، بصنوج التهليل سبحوه »

أما الروح الكرازية والشركة :

فإننا نجدها واضحة تماماً فى حياة كنيسة الرسل وكيف كانت الحياة الليتورجية تؤثر فى كيان الكنيسة تأثيراً جباراً فيصف لنا معلمنا لوقا كيف كان المؤمنون يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلاة ، وكيف كانت هذه الحياة دافعة لهم أن يبيعوا الأملاك والمقتنيات ، ويعيشوا حياة الفقر والتجرد الأنجيلى الحقيقى ، « وإذ هم يكسرون الخبز فى البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب مسبحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون » (أع ٢ : ٤٢ــ٤٦) .

وفى موضع آخر يقول القديس لوقا : « وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ، ولم يكن أحد يقول أن شيئاً من أمواله له ، بل كان عندهم كل شىء مشتركاً . وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ونعمة عظيمة كانت على جميعهم » (أع ٤ : ٣٢،٣٣) وهذه النعمة كانت القوة التى بها كرز بطرس يوم الخمسين وأستفانوس وقت استشهاده ، وبولس وبطرس والرسل فى كرازتهم ورحلاتهم التبشيرية وقد عبر

عن هذا النمو الكرازى معلمنا لوقا بقوله : « وأما الكنائس فى جميع اليهوديه والجليل والسامرة فكان لها سلام وكانت تُبنى وتسير فى خوف الرب وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر » (أع ٩:٣١) .. « أما الذين تشتتوا من جراء الضيق ... وكانت يد الرب معهم فآمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب » (أع ١١:١٩،٢١) .

ولم يكن فى كنيسة الرسل ثنائية الحياة والليتورجيات (العبادة) بل كانت حياتهم عبادة وعبادتهم هى الحياة . فنقرأ عنهم إنهم « بينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس إفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى » (أع ١٣:٢،٣) ... ويقول الكتاب عن أثر ليتورجيات العبادة فى كنيسة الرسل « وأما التلاميذ فكانوا يمتلئون من الفرح والروح القدس » (أع ١٣:٥٢) .

الشهادة للحق :

وكما كان الرسل حريصين على ممارسة ليتورجيات العبادة المختلفة فانهم كانوا حريصين على الشهادة للحق كفاعلية حقة لهذه العبادة ، فحنانيا وسفيرة اللذان اختلسا من الثمن أماتهما روح الله بكلمة من بطرس ، والرسول بطرس يقول لرئيس

الكهنة : « ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس » (أع ٥:٢٩) . وسيمون الساحر يقاومه بطرس الرسول ويقول له : « لتكن فضتك معك للهلاك » (أع ٨:٢٠) وكتب السحر فى أفسس حرقت رغم أن « حسبوا أثمانها فوجدوها خمسين ألفاً من الفضة » (أع ١٩:١٩) .

فلم تكن يد المؤمن تشترك فى أعمال الظلمة بل بالحرى كانت توبخها ...

وقد كانت القوة الإلهية التى يشحن بها المؤمنون من خلال ليتورجيات العبادة سواء فى القداسات الإلهية أو التسابيح أو الأصوام هى التفسير الوحيد للأنتشار الكرازى فى إتساعه وعمقه ... ولا يزال المجال أمام كل كنيسة تعيش بالروح الرسولية محافظة على العبادة ، مواظبة على الصلاة والشركة وكسر الخبز وتعليم الرسل ، حريصة على وحدانية الروح ، مركزة أهدافها فى الدعوة للتوبة والخلاص ، أن تمتد خدمتها وفاعليتها ويتسع مجالها ويتحقق عندئذ فينا القول الأفخارستى « إنه فى كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتى وتعترفون بقيامتى وتذكروننى إلى أن أجيىء » .

آمين تعال أيها الرب يسوع . تعالى سريعاً .

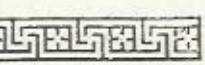

مراجع المقال

١ــ الكتب الكنسية الطقسية .

٢ــ القمص تادرس يعقوب : المسيح فى سر الأفخارستيا .

٣ــ فريدا حداد : ذبيحة التسبيح (منشورات النور) .

٤ــ J. Danielou,s. J.: The Bible and the Liturgy University of notre Dame 1956

٥ــ A. Sehmemann: An introduction to Liturgical Theology

٦ــ A. Sehmemann: Sacraments Orthodoxy

المحتوى

◦ مقدمة :

◦ الفصل الأول : الليتورجيا من منظار مسكونى عصرى

١ ــ معنى كلمة ليتورجيا وأهميتها .....

٢ ــ الليتورجيا والأتجاه المسكونى .....

٣ ــ الليتورجيا والأتجاه الكونى .....

٤ ــ الليتورجيا والنظرة العصرية .....

* قضية لقمة العيش .....

* قضية العزلة والفراغ الداخلى .....

* قضية الألم والمرض .....

◦ الفصل الثانى : حياة الشركة

أولا : مضمون حياة الشركة .....

+ نوعية فريدة .....

+ شركة من كل أمة وعشيرة .....

+ لا شركة للنور مع الظلمة .....

ثانيا : الليتورجيا وحياة الشركة .....

١ ــ شركة مع الله .....

٢ ــ شركة مع السمائيين .....

٣ ــ شركة المؤمنين معا .....

الفصل الثالث : الليتورجيا والكتاب المقدس

+ الليتورجية والتقليد المسكونى .....

+ ليتورجية العماد والكتاب المقدس .....

+ ليتورجية الميرون والكتاب المقدس .....

+ ليتورجية سر التوبة والكتاب المقدس .....

+ ليتورجية مسحة المرضى والكتاب المقدس .....

+ ليتورجية سر الزيجة والكتاب المقدس .....

+ الليتورجية والروح الأنجيلية .....

يطلب من

المكتبة المرقسية بملوى ص. ب ١٣

ومكتبة كنيسة القديسة العذراء بالفجالة

وجميع المكتبات المسيحية